شرح الشيخ بيرم الثاني
على نظمه
في المفتين الحنفية بتونس

تأليف

بيرم الثاني

ت1247هـ /1831 م

تقديم وتحقيق

محمد الزاهي



الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت

شرح الشيخ بيرم الثاني

على نظمه

في المفتين الحنفية بتونس



الإهـــــداء

إلـــى روح

هشام بن الهاشمي عباس.



I ـ التقديم

من المخطوطات التي عثرنا عليها ونحن نتصفح فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية بتونس رسالة متوسطة الحجم موضوعها تراجم المفتين الحنفية بتونس، وهي شرح الشيخ محمد بيرم الثاني على نظمه الذي عدّد فيه المفتين الحنفية الذين تولّوا خطة الإفتاء منذ سنة 1019 / 1610 إلى حدود سنة 1229 / 1813.

وبعد مطالعة المخطوطة عزمنا على تحقيقها ونشرها إذ تأكدت لنا أهميتها، فهي صفحة تعود إلى حقبة من تاريخ تونس ما زالت في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والدراسة، كما أنها تترجم لأعلام عديدين تقلّدوا مهمة الإفتاء، كما تبرز العلاقة بين مفتي المذهبين بتونس في تلك الفترة وواقع خطة الإفتاء وهي خطة ليست سهلة في تاريخ الحضارة الإسلامية إذ هي مهمة جسيمة تسند إلى أهل العلم المتضلعين في الفقه وغيرها من العلوم الشرعية، لكن هؤلاء الذين تقلّدوا هذه المهمة في هذه الفترة التي تؤرّخ لها المخطوطة كانوا ضعيفي التحصيل ومتوسطي الثقافة مقارنة بنظرائهم المالكيين المتضلعين في العلوم الشرعية.

وقد رأينا من الضروري التمهيد لهذا العمل بالحديث عن التدخل العثماني بتونس وآثاره ثم نفرد فصلاً للحديث عن العائلة البيرمية التي ينتمي إليها المؤلف وهي عائلة تركية الأصل ساهمت مساهمة هامة في

تنمية الحركة الفكرية بتونس في العهد الحسيني وقد تدرّج أفرادها من مجرد جنود فاتحين إلى أصحاب مراتب هامة، ثم نفرد فصلاً عن المؤلف والرسالة التي نحققها.

عرفت البلاد التونسية فترات عصيبة في أواخر الدولة الحفصية خاصة عندما احتلها الإسبان فعرفت البلاد ركوداً في جميع المجالات وخاصة العلمي والثقافي بعدما كان مزدهراً في العهد الحفصي، وعطلت المدارس وأُهين العلماء وداست خيول الإسبان رحاب الجامع المعمور وعبثت بكنوزه، الأمر الذي دفع بالدولة العثمانية، وهي في تلك الفترة حامية الإسلام والمسلمين أن تلتفت إلى هذه الرقعة من الدولة الإسلامية للدفاع عنها وتخليصها من براثن هذا المستعمر.

وقد تمّ ذلك على يد سنان باشا سنة 981 / 1573 في عهد السلطان سليم. فتخلصت البلاد من الاحتلال الإسباني. وقد وصف الوزير السراج حالة البلاد قبل الفتح العثماني وبعده بقوله: «فبينما الكرب مولع بشديد النصال، ومعزى بتعطيل الوصال، إن طلع من أفق الفرج ساطع إقبال، وحوله أنجم لطائف لم تجر يوماً ببال. وعوّد الله أن الحال ذات انتقال، ودوام حال من قضايا المحال. ألا وإنها سفن نصر مشحونة بالأبطال، وقساورة وغى يسابق بطشها الأقوال... فافترّ بسرور قدومهم ثغر البلاد، وسوّغوا مرّ الوغى بِزُلاَل الفتح من حلق الوادي...»[1].

وكان لهذا التدخل العثماني بتونس نتائج عديدة وأثر واضح في تغيير مجرى الحياة بالبلاد. فأصبح العمل بالنظم الإدارية التركية (أجهزة الدولة: قضاء، إفتاء، مجلس شرعي...) وانتشر المذهب

(1) للمزيد من التوسع راجع: الحلل السندسية: 2/222 وما بعدها ـ المؤنس: 179 وما بعدها.

الحنفي وبنيت جوامع ومدارس حنفية[1] لتدريس هذا المذهب وتعزيزه مما خلق نوعاً من الصراع والتنافس بين علماء المالكية وعلماء المذهب الجديد، كما أحدثت خطط ووظائف جديدة لا عهد للأهالي بها وانخرطت أسر عديدة من سلالات تركية في بلورة الحياة السياسية والثقافية بالبلاد مكّنها في ما بعد من الانتساب إلى الأسر المتميّزة.

ومن هذه الأسر التركية الأصل أسرة البيارمة، فمن هي هذه الأسرة؟ ومن هم أبرز أعلامها الذين ساهموا في بلورة وإثراء الحياة العلمية والثقافية بتونس في العهد الحسيني؟.

البيارمة ودورهم في الحقل العلمي:

عرفت البلاد التونسية في العهد الحسيني خاصة أسراً ذاع صيتها، ساهمت مساهمة فعالة في إحياء الحياة الثقافية والفكرية بعد ركود دام قروناً. كما تقاسمت هذه الأسر الوظائف الشرعية السامية وخطط التدريس بالزيتونة ومعاهد العلم الأخرى.

ومن أبرز هذه العائلات أسرة البيارمة، وهي أسرة تركية الأصل. فقد كان بيرم ـ جدهم الأعلى ـ من عساكر الترك الذين حلّوا بتونس مع سنان باشا لإجلاء الإسبان. وإثر الحملة، آثر بيرم الاستقرار بتونس وتزوج بها بابنة ابن الأبار أحد أدباء الأندلس المهاجرين إلى تونس[2].

ومنذ ذلك التاريخ بدأ نجم هذه الأسرة يسطع في سماء الحياة العلمية والإدارية وأصبحت لها الحظوة والمكانة عند البايات وعيّن بعض

---

(1) حول الجوامع والمدارس الحنفية يراجع: تاريخ معالم التوحيد لمحمد بن الخوجة. وقد صدر عن دار الغرب الإسلامي بتحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي.

(2) صفوة الاعتبار: 1/94.

أفرادها مستشارين في المهمات الصعبة والدقيقة. وقد تدخلوا في سلك الأشراف، رغم أصلهم التركي، عندما تزوج حسين والد بيرم الأول ابنة أحمد الشريف[1]. وبداية من سنة 1206 / 1791 تقلدوا باستمرار خطة نقابة الأشراف إلى حدود سنة 1278 / 1861 (وهو تاريخ وفاة بيرم الرابع).

وكانت مصاهرة بعض أفراد هذه العائلة مع البايات[2] سبباً رئيسياً لنيلهم الجاه وتقلّدهم أسمى المناصب الإدارية والتدريس بأهم المساجد والمدارس.

وحرص أفراد هذه العائلة على تدوين تاريخ أسرتهم ولم يتركوا هذه المهمة أي التعريف بفضائلهم وأمجادهم إلى غيرهم من المؤرخين.

وقد أنجبت هذه الأسرة علماء عديدين ساهموا مساهمة فعالة في الحياة العلمية. ومن أشهرهم:

1 ـ محمد بيرم الأول (والد المؤلف):

هو محمد بن حسين بيرم ويُعرف ببيرم الأول.[3] ولد سنة 1130 / 1718. تلقى ثقافة عصره عن العديد من المشائخ. ولكنه لم يكتف بدرجة متواضعة من العلم بل كان من أول البيارمة الذين ساروا قدماً في تحصيل

---

(1) صفوة الاعتبار: 1/95.

(2) تزوج بيرم الرابع ابنة وزير البحر محمود بن محمد خوجة وتزوجت ابنة محمد بيرم الثالث الأمير محمد باي الذي حكم البلاد من سنة 1271 / 1855 إلى سنة 1276 / 1859.

(3) ترجمته في: الإتحاف: 7/30 ـ 35، وقد اعتمد ابن أبي الضياف كثيراً على نص بيرم الثاني الذي نحققه ـ الأعلام: 6/104 ـ تراجم المؤلفين التونسيين: 1/174 ـ 176 ـ معجم المؤلفين: 9/233 ـ معجم المطبوعات: 612 ـ هدية العارفين: 2/352 ـ وقد ترجم له ابنه في هذا الشرح.

علوم الدين، ولعلّ ذلك راجع إلى سبب رئيسي وهو تأثير أهل أمه عليه في هذا التوجه.

ومن أبرز شيوخه الذين تلقى عنهم العلم: الشيخ علي سويسي والشيخ أحمد المكودي الفاسي نزيل تونس، والشيخ قاسم المحجوب والشيخ محمد بن عبد العزيز المكودي. وكان لهؤلاء الشيوخ عظيم الأثر في إثراء ثقافته.

وتتلمذ عليه كثيرون منهم: حمودة باكير، علي شندرلي، ومفتي المالكية بتونس محمد المحجوب وحمودة بن عبد العزيز صاحب التاريخ الباشي وقاضي صفاقس عبد الرحمن الفراتي.

وتولّى بيرم الأول عديد المناصب، فقد عيّن مفتياً حنفياً ثانياً سنة 1169/1755، وخطة قاضي القضاة عند وفاة حسين البارودي سنة 1186/1772، ولقّب بشيخ الإسلام. وقد أقام في الفتوى خمساً وأربعين سنة. ودرّس بالعديد من المدارس والجوامع أشار إليها ابنه في ترجمته في هذا الشرح.

وقد تعرّض بيرم الأول إلى محنة السجن أيام علي باشا بسبب بعض مواقفه. وفي آخر أيامه وخشية أن يرمى به ثانية في السجن اختلى بزاوية سيدي منصور حيث بقي يدرس بها إلى آخر دولة علي باشا. وتوفي آخر أيام شوال سنة 1214/ 26 مارس 1800.

ومن مؤلفاته:

- بغية السائل في اِختصار أنفع الوسائل في تحرير المسائل للطرطوشي، وقد شرع في تأليفه في السنة التي تولى فيها رئاسة الفتوى (أي سنة 1186 / 1772). والكتاب مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس.

ـ رسالة في السياسة الشرعية.[1] وقد ألفها بطلب من حمودة باشا.

وقد أشار في خطبتها إلى المصادر التي اقتبس منها وهي: كتاب معين الحكام لشهاب الدين الطرابلسي، وكتاب الأحكام للقرافي، وكتاب السياسة لابن قيم الجوزية. بعد ذلك عرّف السياسة معتمداً على آراء بعض العلماء كابن عقيل والأكفوي فانتهى إلى أن السياسة تستهدف المصالح البشرية وما عداها فباطل.

وقد قسّمها إلى ثلاثة فصول وخاتمة. ففي الفصل الأول بحث مشروعية السياسة، أما الفصل الثاني فقد خصصه لما يمكن للأمير (متولي شؤون الأمة) أن يفعله ممّا لا يجوز للقاضي ولا يقدر عليه. أما الفصل الثالث فقد خصصه للدعاوي واعتبارها حسب شرف المدعى عليه ومنزلته. وتعرض في الخاتمة إلى ثلاث مسائل: مسألة القرائن والإمارات الظاهرة والعرف، ومسألة الفراسة ومسألة الحسبة.

والرسالة، رغم صغر حجمها، هامة تنبىء عن وعي وفكر وقّاد ودعوة إلى الاهتمام بأمور المحكومين. ولأهميتها اعتبرها بعض رجال الإصلاح في القرن التاسع عشر مصدراً وحجة فاعتمدوها في بلورة آراءهم. فهي حجة إذ أن مؤلفها كغيره من العلماء، أثبت أن تطبيق الشريعة يجب أن يراعي تغير أحوال الناس ومصلحتهم.

2 ـ محمد بيرم الثاني مؤلف هذا الشرح: وسنفرد له فصلاً خاصاً.

3 ـ محمد بيرم الثالث (ابن المؤلف):

وهو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم[2]. وولد سنة

---

(1) طبعت بالقاهرة سنة 1886 تحت عنوان: نبذة في بعض القواعد الشرعية لحفظ الإدارة الكلية. (معجم المطبوعات: 612).

(2) ترجمته في الإتحاف: 8/54 ـ 55 ـ الأعلام: 7/82 ـ إيضاح المكنون: 1/404 ـ =

1201 / 1787. وهو فقيه مؤرخ وشاعر. تفقه على أبرز شيوخ عصره. وقد تتلمذ عليه العديد من العلماء أبرزهم ابن أبي الضياف. وتوّلى وظائف عديدة كالتدريس بالمدرسة الباشية نائباً عن والده وبجامع الزيتونة وبالمدرسة العنقية. كما تولى مناصب هامة إما نيابة أو إستقلالاً كإمامة جامع صاحب الطابع ونقابة الأشراف بعد وفاة والده ورئاسة المجلس الشرعي الحنفي. وقد كانت له مكانة وحظوة عند الباي الذي كان يلجأ إليه في العديد من المهمات.

وتوفي في ربيع الأول سنة 1259 / 1843 وقد ذكر ابن أبي الضياف أن الباي، لعذر منعه، لم يحضر جنازته وبعث سائر أهل بيته وكبير الوزراء وأعيان رجال الدولة[1].

ومن مؤلفاته:

- تحريرات فقهية.
- حاشية على المنار.
- حسن الخط في توهم الاحتجاج عندنا بالخط.
- رسالة في كروية الأرض والخسوف والكسوف وهي مخطوطة بمكتبة الأزهر.
- شرح على إيساغوجي في المنطق أتمّه سنة 1258 / 1743[2].

ونظم بيرم الثالث الشعر في مواضيع مختلفة وفي مناسبات عديدة

= تاريخ معالم التوحيد: 434 ـ تراجم المؤلفين التونسيين: 1/182 ـ 183 ـ عنوان الأريب: 2/87 ـ 90 ـ معجم المؤلفين: 11/276 ـ معجم المطبوعات: 613 ـ هدية العارفين: 2/370..

(1) الإتحاف: 4/69.

(2) طبع بتونس سنة 1872 ثم بالقاهرة سنة 1884.

كتهنئة ولي أمر أو تخليد ذكرى. وتوجد هذه الأشعار مفرقة في بعض الكنانيش أورد منها ابنه بيرم الرابع في كتابه «الجواهر السنية في شعراء الدولة التونسية».

4 ـ محمد بيرم الرابع: (حفيد المؤلف):

هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم[1]. ولد سنة 1220 / 1805. يعتبر من أبرز من أنجبت هذه العائلة من العلماء وهو أول من لقّب بشيخ الإسلام، وهذا ما يفسر الغزارة النسبية للبيبليوغرافيا التي تخصه. فقد كان إنتاجه غزيراً ذا طابع تاريخي بحت. وقد تلقى بيرم الرابع العلم على أقطاب الشيوخ في عصره ولعل أهمهم جدّه بيرم الثاني الذي كان يلقنه المسائل. كما تتلمذ على والده وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلى الشيخ ابراهيم الرياحي بجامع صاحب الطابع والشيخ محمد بن ملوكة. وقد أجازه المحدث الرحلة محمد الرضوي البخاري المدني عند إقامته بتونس.

وقد تولّى بيرم الرابع وظائف عديدة مهمة. فقد تولى خطة التدريس وله من العمر ثمانية عشر سنة، فدرّس بالمدرسة العنقية وبالمدرسة الباشية وبجامع الزيتونة. وبعد وفاة جدّه بيرم الثاني تولى الإفتاء. كما تولى رئاسة الفتوى الحنفية بعد وفاة أبيه، وعيّن نقيباً للأشراف وأسندت إليه خطب عدة جوامع كخطبة جامع صاحب الطابع والجامع اليوسفي.

وقد جمع بين السيادة العلمية والحظوة عند رجالات السياسة بالبلاط

---

(1) ترجمته في الإتحاف: 8/124 ـ 126 ـ الأعلام: 7/74 ـ تاريخ معالم التوحيد: 174 ـ تراجم المؤلفين التونسيين: 1/184 ـ 190 ـ عنوان الأريب: 2/117 ـ 121 ـ فهرس الفهارس: 1/242 ـ 243 ـ معجم المؤلفين: 11/290 ـ هدية العارفين: 2/376.

الحسيني، فقد كان الأمير أحمد باي يقرّبه ويستشيره في المهام ويصله بأسنى العطايا. أما صهره الأمير محمد باي فقد قرّبه وجعل أمر الخطط الدينية إليه كما اتخذه مستشاراً في الجهاز الإداري والقضائي.

وقد استنجد به محمد باي في المناسبات العديدة نظراً لقوة شعره وجزالة أسلوبه[1].

فلمّا اتخذ السلطان محمود خان الثاني الزي الأوروبّي سنة 1246 / 1831 أصدر أمره لولاة الولايات العثمانية (ومنها تونس) بإجراء العمل في بلادهم بالأنظمة الجديدة ومن جملتها اللباس الأوروبي. وشاع النكير على الباي في أوساط المتزمّتين، ولكن بيرم الرابع كان من المؤيدين له ولسياسته وهنأه بقصيدة مطلعها: (الوافر)

نظامك أيّها الملك الهمام ... به للدين قد ظهر ابتسام
نظـام يكتسـي الإسـلام منـه ... سـروراً ليـس يحصيـه النظـام

وقد ترك بيرم الرابع مؤلفات عديدة جلّها في التاريخ والتراجم، إذ كان شغوفاً بهذا الفن شأنه في ذلك شأن أسلافه. وله أيضاً رسائل تتعلق بمسائل فقهية.

ومن أهم آثاره في التاريخ:

- التراجم المهمة للخطباء والأئمة. وقد ترجم فيه للخطباء والأئمة بالمساجد الحنفية. وقد أراد المؤلف أن يترجم لهم تراجم مستوفاة لأنه لاحظ عدم اهتمام الناس بالعلماء إلا بأولئك الذين لهم اختلاط ببلاطات الأمراء والسلاطين. كما قرر أن يرتب هذه الجوامع على حسب تواريخ تأسيسها وترتيب الأئمة والخطباء على حسب وفياتهم. ولكن يبدو أن

(1) لمّا ورد مكتوب السلطنة المغربية في تهنئة محمد باي أحجم ابن أبي الضياف عن الجواب فاستنجد الأمير ببيرم الرابع فأجاب عن المكتوب نظماً ونثراً.

المؤلف لم يتمم هذا الكتاب الهام. فالنسخة التي عثرنا عليها بدار الكتب الوطنية بتونس مبتورة وتحتوي على ثلاثة فصول فقط: فصل يتعلق بجامع القصر وثان بجامع القصبة وثالث بجامع يوسف داي. إثرها نجد بعض الأسطر المتعلقة بجامع حمودة باشا، ويسكت المؤلف عن ذكر المساجد الأخرى. كما نجد بالنسخة فراغات متصلة خاصة بتواريخ إنشاء بعض تلك المعالم وتولية الخطباء بها. ولعلّ المؤلف كان ينوي التثبت فيها، ولكن لأمر ما ظلت تلك الفراغات على حالها. وهو ما يؤكد أن هذه النسخة مسودة. ولا ندري هل أن المؤلف أنجز بقية الكتاب وهل بيضه في نسخة نهائية. رغم ذلك فإن هذا النص مهم جداً وهو صفحة من تاريخ رجالات تونس ومعالمها الدينية فهو يحتوي على إشارات ومعلومات قلّما نظفر بها في مصادر أخرى كتاريخ إنشاء هذه المساجد وتراجم من تولى إمامتها وخطبتها.

- الجواهر السنية في شعراء الدولة التونسية[1]: وقد ذكر فيه بعد المقدمة طبقة واحدة من شعراء تونس رغم التزامه في المقدمة بذكر طبقات أخرى مما يجعلنا نرجح أن الكتاب ما هو إلاّ بداية مشروع لم يكتمل. وإثر ترجمة موجزة لكل شاعر يورد المؤلف مجموعة من شعره دون نقد أو تحليل.

- مجموعة من الرسائل كرسالة في الصلاة بالنيشان ورسالة في الشفعة ورسالة في شرح قواعد عهد الأمان. كما ترك بيرم الرابع مجموعة من الكنانيش مشحونة أدباً وفوائد وتراجم. وله شعر كثير في أغراض متنوعة جمع محمد السنوسي قسماً منه في كتابه مجمع الدواوين التونسية.

وتوفي بيرم الرابع في جمادى الأولى سنة 1278 / نوفمبر 1861.

---

(1) طبع هذا الكتاب بتحقيق وتعليق الدكتور الهادي حمودة الغزي. تونس 1973.

المؤلــف:

لرسم أبرز مراحل حياة بيرم الثاني رجعنا إلى نوعين من المصادر:

- ما كتبه عن نفسه في هذا الشرح الذي نحققه وفي كتابه «التعريف بالأسرة البيرمية».

- ما كتبه عنه الآخرون من معاصريه أو ممّن أتى بعده من المؤرخين، وقد اعتمدوا أساساً على شرحه هذا وعلى كتابه «التعريف بالأسرة البيرمية».

فهو محمد بن محمد بن حسين بيرم الثاني[1]. ولد في 16 ذي القعدة سنة 1162 (الموافق لـ: 28 أكتوبر 1749). وقد حرص منذ نعومة أظفاره على تلقي العلم والتشبّع بثقافة عصره المتقوقعة على نفسها والمصبوغة بالصبغة الدينية. ولم يقتصر تكوينه على التشبع بأصول المذهب الحنفي بل تعدّى ذلك إلى المذهب المالكي فقد برع فيه وأصبح يستمد منه حججاً لفتاويه. وإن كان في بداية حياته قد تعرّض إلى بعض نوائب الدهر[2] فإنه شمّر على ساعد الجدّ وجالس أبرز الشيوخ في أهمّ المراكز التعليمية في عصره من مساجد ومدارس وقد عدّدهم شيخاً شيخاً وذكر أهمّ المصنفات والمسائل التي حققها معهم. إن هؤلاء الشيوخ

---

(1) ترجمته في: إتحاف أهل الزمان: 7/158 ـ 162 ـ الأعلام: 7/299 ـ اكتفاء القنوع: 512 ـ إيضاح المكنون: 1/405 ـ تاريخ معالم التوحيد: 137 ـ 138 ـ تراجم المؤلفين التونسيين: 1/177 ـ 181 ـ صفوة الاعتبار: 1/95 ـ عنوان الأريب: 2/78 ـ 83 ـ معجم المؤلفين: 11/209 ـ معجم المطبوعات العربية: 613 ـ هدية العارفين: 2/363.
راجع كذلك بعض الفصول التي كتبها محمد بن الخوجة في كتابه «صفحات من تاريخ تونس».

(2) فقد زوجته وأبناءه الخمسة وكثيراً من أفراد عائلته وأصحابه في وباء سنة 1199 / 1785.

مختلفو المشارب في الثقافة والانتماء المذهبي، فمن الفقيه إلى المحدث والمفسر والمؤرخ والأديب من حنفية ومالكية. ومن أبرز هؤلاء الشيوخ أبوه بيرم الأول، والشيخ المحقق صالح الكواش، والشيخ أبو الحسن علي بن سلامة والشيخ أبو العباس أحمد الثعالبي الشهير بالبرانسي، والشيخ النحوي أبو العباس أحمد السويسي.

وقد كانت بينه وبين شيوخ عصره مساجلات ومناظرات وتحقيقات حول مسائل عديدة[1].

ومن أبرز تلامذته المؤرخ أحمد بن أبي الضياف، فقد قرأ عليه أبواباً من صحيح البخاري وأجازه فيه بسنده[2]. ومن تلامذته أيضاً مصطفى البارودي وقد قرأ عليه كتاب الدرر وكتباً أخرى في الفقه.

وقد تقلد بيرم الثاني مناصب ووظائف إدراية وعلمية هامة أشار إلى جلها في شرحه هذا. وتدّرج في الخطط النبيهة التي كانت لا تسند إلا إلى أبرز علماء العائلات الوجيهة، فقد تقلد منصب القضاء والإفتاء ونقابة الأشراف وخطة شيخ الإسلام. وكان في بعض الأحيان يستقيل من هذه المناصب التي كان لا يرغب فيها كثيراً أو أنه يقال منها[3]. وقد درّس بجامع الزيتونة وبالمدرسة الباشية نيابة واستقلالاً.

واشتهر بيرم الثاني بأنه حجة المذهب الحنفي بتونس. فقد اغتنم الفرص التي كان يمنحها التعليم في جامع الزيتونة وفي المدارس وكذلك العلاقات القائمة بين الفقهاء والقضاة من المذهبين. وقد ساعده هذا

---

(1) ذكر ابن أبي الضياف أن الشيخ اسماعيل التميمي (ت 1248 / 1832) كان يزوره ويطيل الجلوس معه ويحادث كل منهما صاحبه في معضلات المسائل (الإتحاف: 7/159).

(2) الإتحاف: 7/160.

(3) لمزيد من التفاصيل حول أهمّ هذه الخطط وتواريخ توليته وعزله واستعفائه منها راجع: ترجمته في هذا الشرح.

التلاقح على تنمية معارفه الفقهية مما وسّع آفاقه في هذا المجال. فكان ملاذاً لكل من يروم فتوى حتى الأمراء والسلاطين. فقد عرف بتحريّه وتثبته في إصدار الفتاوى.

وقد أورد ابن أبي الضياف أن بيرم الثاني امتحن بانتخاب عدد معيّن من الشهود بالحاضرة وكتب لكل من انتخبه في طرّة أمر ولايته: «أذنته في الشهادة». ورغم معارضة البعض على هذا الاختيار فإن الأمير علي بن حسين عمل برأي بيرم الثاني وأبقى على سائر الشهود الذين اختارهم وكتب بذلك إلى القضاة[1].

ومن تثبته وتحرّيه في المعاوضات أنه كان يتوجه بنفسه لنظر العوض ويسأل عن قيمة العوض غير الأمناء المعينين لذلك[2]. ونسوق هنا ما نصح به اِبنه محمد بيرم الثالث لما تقدم للفتوى: «تثبَّتْ وارجع إلى الحق ولا يُغرَّنَّك ثناء الناس عليك وأنت تعلم رسالة ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ التي منها: الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل. هذا خير الدين الرملي صاحب «الفتاوى الخيرية» أفتى في نازلة وغلَط، فكتب إلى مظنة بلوغها من النواحي بغلطة، ودان الله بما رآه من الحق، ولا يغرّنك من يمسح ظهري بيده ويمسح بها وجهه تبركاً، لو أتى ذلك المتبرك إليّ في نازلة، وحكمت عليه بصميم الشرع مزّق جلدي بلسانه، فاحذر يا بُنَيّ من الاستبداد بفهمك وشاور فيه، وأنت تعلم ما في المشورة من الخير»[3].

ونورد هنا ما ذكره أيضاً في مكتوب علّى لسان خطة القضاء: أنا

(1) الإتحاف: 161/7.
(2) نفس المصدر.
(3) الإتحاف: 160/7.

خطة القضاء، مكفولة نظرك السديد، ورأيك الصائب الرشيد، قلّدْتني لمن عطّل أعمالي وأوجب إهمالي. . .»[1].

وهو في هذه المواقف يدعو إلى إشاعة العدل والحق واعتبار مصالح الناس. ولن يتمّ ذلك ـ حسب رأيه ـ إلا بإصلاح الأجهزة الإدارية الهامة والحسّاسة التي تسهر على شؤون الناس وتدير أمور حياتهم كجهاز الإفتاء وجهاز القضاء.

وانطلاقاً من هذه الآراء فقد لا نحيد عن الصواب إذا اعتبرنا أن بيرم الثاني يعتبر نواة الإصلاح الأولى، هذه النواة التي ستثمر فيما بعد وستؤتي أُكلها على يد من أتى بعده من رواد الإصلاح بتونس.

وقد اشتهر بيرم الثاني بصراحته وجرأته. فهو لم يتوان في إبداء رأيه في من سبقه من العلماء أو عاصره منهم ونخصّ بالذكر أولئك الذين تقلدوا خطة الإفتاء. فقد أشار في بداية رسالته إلى مفتين نالوا الحظوة والجاه بسبب نسبهم رغم عدم كفاءتهم[2].

وقد أكسبته هذه الأخلاق الفاضلة وهذه الجرأة والصراحة وهذا العلم الغزير ثقة أولي الأمر من الأمراء والسلاطين حتى أنهم كانوا يستشيرونه فيمن يقلدون هذه المناصب الحساسة كالقضاء والفتيا. فقد ذكر ابن أبي الضياف أن بيرم الثاني لمّا استعفي من خطة القضاء بسبب المرض كتب إليه الأمير علي باي بقلم صاحب الإنشاء حمودة بن عبد العزيز: «. . . وإن اشتكَتْ من عدم القيام لأجل المرض بحقها فما اشتكَتْ من عدم إعطاء الحقوق لمستحقيها، وما كلَّفَك الله ولا ألْزَمْناك، أن تتصدر

(1) الإتحاف: 160/7.
(2) راجع ترجمة أحمد الشريف في هذا الشرح.

للقيام أيام يتعاهدك السُّقْمُ، ولا سيما ومعك في البلد قاض يرفع على الشهود وجماعة مفتون يتصدّرون للشورى على الدوام، وهات أخبرني بمن تدين الله به أنه من رجالهم، ويقال فيه لا تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها. . .»[1].

وتوفي بيرم الثاني في 16 جمادى الأولى سنة 1247 / 1831. وشهد أمير العصر وبنوه جنازته ودفن بتربة آله.

مؤلفاته:

لقد أسهم بيرم الثاني كغيره من أفراد الأسرة البيرمية في إثراء المكتبة التونسية ببعض المؤلفات. ولكن جلّ هذه المؤلفات عبارة عن رسائل متوسطة الحجم ومنظومات وضعها في مسائل مختلفة كان للفقه النصيب الأوفر منها، وهذا أمر طبيعي إذ أنه تحمل وظائف دينية كالقضاء والإفتاء فكان لزاماً عليه أن يلم بالمسائل الفقهية: مطالعة وبحثاً وتأليفاً. كما كان للتاريخ نصيب في هذه المؤلفات. ولكن بيرم الثاني لم يتعمق في هذه المؤلفات التاريخية فلم يبحث في الأسباب والنتائج بل اكتفى بالسرد السريع للأحداث التاريخية.

إن المطلع على هذه المؤلفات يدرك أن صاحبها متوسط الثقافة وإن كان له إمام كبير بالفقه. فهو في هذه المؤلفات خاصة التاريخية منها لم يتجاوز حدود أحداث عاصرها أو تراجم خطباء ومفتين عاشرهم.

ولكن مهما كان حكمنا على هذه المؤلفات فإنها وثائق هامة تؤرخ للعصر الذي عاش فيه المؤلف.

---

(1) الإتحاف: 161/7.

ـ **المؤلفات التاريخية:**

ترك بيرم الثاني في التاريخ المؤلفات التالية:

ـ كتاب التعريف بنسب الأسرة البيرمية[1]: وهو من أهم كتب بيرم الثاني التاريخية. والكتاب مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 509، مقاسه: 15/19،6 صم، مسطرته: 15، وعدد أوراقه: 76 ورقة. وقد نسخه محمد بن خليل بن مصطفى الطواحيني سنة 1287 / 1870.

كما تحتفظ الخزانة التيمورية بالقاهرة بنسخة من هذا الكتاب تحت رقم 1434 (تاريخ)[2]. وفي هذا الكتاب دوّن بيرم الثاني تاريخ أسرته التركية الأصل التي استوطنت تونس منذ حلول الجدّ الأول بيرم بحلق الواد مع سنان باشا كما سلف ذكره. ولقد خصص المؤلف للجد الأول عدّة أوراق من كتابه هذا. فقال متحدثاً عنه: «أما الجدّ الأعلى فكان من جند السلطان الأعظم سليم بن سليمان الحادي عشر من ملوك آل عثمان. قدم لمحروسة تونس من جملة العساكر المنصورة الموجهة من دار السلام قسطنطينية العظمى صحبة الوزير المعظم أبي الفتوح سنان باشا لفتح قلعة حلق الواد واستنقاذ البلد من أسر الإصبنيول سنة 981»[3].

ثم تحدث عن باقي أفراد هذه الأسرة الذين تصاهروا مع عائلات تونسية وجيهة. وقد خصص المؤلف في هذا الكتاب أيضاً صفحات عديدة

---

(1) وهو العنوان الذي وجدناه على نسخة دار الكتب الوطنية بتونس. أما الزركلي فيذكره كما يلي: «التعريف بالأسرة البيرمية»، أما محمد محفوظ فيذكره كما يلي: «التعريف بالأجداد البيارمة».

(2) يشير المرحوم محمد محفوظ أن الأستاذ خالد ابن المؤرخ محمد بن الخوجة الأستاذ بالجامعة التونسية يملك نسخة من هذا المخطوط تقع في 60 ورقة وأصلها من كتب خليل الطواحيني صديق البيارمة.

(3) التعريف بنسبة الأسرة البيرمية: الورقة 3 و.

للحديث عن أبيه. أما باقي الكتاب فخصصه المؤلف لنفسه، وكأنّنا به يترجم لنفسه (سيرة ذاتية) على غرار أصحاب كتب الفهارس ومعاجم الشيوخ، فذكر ولادته وتكوينه وشيوخه وما قرأه من العلوم كالنحو والبيان والمنطق والفقه والحديث، ثم تطرق إلى ذكر الكتب التي ألفها والمناصب التي تولاها وخاصة التدريس، وختم كتابه بذكر مجموعة هامة من الأشعار التي نظمها في أغراض عدّة.

وللكتاب أهمية لا يستهان بها، فهو وثيقة من أصدق الوثائق التي تؤرّخ للبيارمة منذ حلول جدّهم الأول بتونس إلى عهد المؤلف. كما تطلعنا هذه الوثيقة على إشارات هامة، رغم قلتها، حول الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عرفتها البلاد في تلك الفترة، وعلى نشاط العلماء في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

ـ التعريف بالمفتين الحنفية بتونس من الفتح العثماني إلى عهده أو: شرحه على نظمه في المفتين الحنفية بتونس. وهي الرسالة التي نحققها وسنفرد لها فصلاً خاصاً.

ـ عقد الدرر والمرجان في سلاطين آل عثمان: وهي قصيدة ميمية من البحر الطويل ذكر فيها أسماء سلاطين آل عثمان منذ سنة 699 / 1299 إلى سلطان زمانه سليم خان الثالث. وقد بدأ هذه القصيدة بقوله: (الطويل)

أقدم قبل القصد شكراً لمنعم	علينا بما أربى على كل أنعم
على عز هذا الدين والملّة التي	وإن لحقت فازت بفضل التقدم

وختمها بقوله:

سليم بن خاقان الخواقين مصطفى	لـدينـك يـا مـولاي صنـه وسلـم

فلا زال منها قائم إثر قائم إلى زمن المهدي وعيسى بن مريم

وقد ذكر محمد بلخوجة أن بيرم الثالث قد ذيّل على هذه القصيدة بذيلين الأوّل يقع في ثمانية أبيات مبتدئاً بالسلطان مصطفى خان الرابع الذي حكم في سنة 1223 / 1808 بدأه بقوله: (الطويل)

ومن بعده قد قام بالأمر مصطفى همام به ثغر العلا ذو تبسّم

أما الذيل الثاني فقد بدأه عند وفاة السلطان محمود خان الثاني وجلوس السلطان عبد المجيد خان الأول سنة 1255 / 1839 قائلاً: (الطويل)

ولما تناهى في الكمال ونفسه تؤم المعالي من عظيم فأعظم

أما محمد بيرم الخامس صاحب صفوة الاعتبار فإنه لم يطلع على هذين الذيلين وذيل هو على النظم الأول بقصيدة ذكر فيها سلاطين آل عثمان وصل فيها إلى السلطان عبد الحميد الذي اعتلى كرسي العرش سنة 1293 / 1876.

وقد نشرت قصيدة بيرم الثاني وذيل بيرم الخامس عليها في صفوة الاعتبار[1].

ـ منظومة في بايات تونس[2]: وهي منظومة في 16 بيتاً ذكر فيها بيرم الثاني البايات بتونس من تاريخ الفتح العثماني إلى زمن أمير عصره وهو محمد باي الذي تولى المُلك سنة 1230 / 1814، وقد استهلها بقوله:

بايات تونس إن ترم عَدَّالهم فالسِّتّ مع عشراهم أعداد

وأول باي ذكر في هذه المنظومة هو رمضان باي.

---

(1) صفوة الاعتبار: 5/47 ـ 51.

(2) راجع: صفحات من تاريخ تونس: 60 ـ 61.

وقد ذيّل عليها محمد بالخوجة بقصيدة على وزنها وقافيتها تقع في 13 بيت ذكر فيها بقية البايات إلى زمانه واستهلها بقوله:

من بعد محمود حسين نجله وأخوه ذاك المصطفى المنجاد

أمّا مؤلفاته الأخرى: (أو بالأحرى رسائله الأخرى) فهي[1] :

ـ بذل المجهود في إبطال افتراض توجيه أصابع القدم للقبلة في السجود. ومنها نسخ خطية عديدة بدار الكتب الوطنية بتونس (14576 ـ 18156).

ـ تحقيق الكلام فيما لإجارة متولي الوقف المنحصر استحقاقه فيه إذا مات أثناء المدة من الأحكام. ومنه نسخة خطية بتونس رقم 12086.

ـ تحقيق المقال في حكم ما يعبر عنه في ديارنا بالمغارسة والاستنزال. ومنها نسخ خطية عديدة بتونس ضمن مجاميع (14784 ـ 14583 ـ 18156).

ـ تحقيق المناط في عدم إعادة الساباط. ومنها نسخ بدار الكتب الوطنية ونسختان بالمكتبة العاشورية بتونس.

ـ حاشية على شرح الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المصري على مختصر المنار لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة 808 / 1406. وقد أتمّه سنة 1226 / 1811[2].

ـ حسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء[3]: وقد ألّف هذه الرسالة

---

(1) اعتمدنا لضبطها خاصة على مخطوطة: التعريف بنسب الأسرة البيرمية وعلى فهارس مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس.

(2) منه نسخة بدار الكتب الوطنية رقم 18169.

(3) طبعت هذه الرسالة بالقاهرة سنة 1884 وبتونس بالمطبعة الرسمية.

إثر محاورة وقعت بينه وبين معاصره الشيخ محمد المناعي المالكي في شأن عدوى مرض الوباء وما يجب اتخاذه من الحجر الصحي برّاً وبحراً لإيقاف تسربه ومنع خطره.

- رسالة في السياسة الشرعية.

- رسالة في مسألة رجوع الموصي عن الوصية التي التزم بعدم الرجوع عنها: قال فيها ابن أبي الضياف: «قرضها أعيان علماء العصر وتلقوها بالقبول كشيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف والشيخ ابراهيم الرياحي»[1].

ورسائله كثيرة في مواضيع مختلفة كالطلاق ورؤية الهلال والاستحقاق.

هذا بالإضافة إلى كنانيش عديدة تحتفظ بها دار الكتب الوطنية وبعض المكتبات الخاصة لعائلة البيارمة بتونس.

شعره:

بالإضافة إلى ما تركه بيرم الثاني من مؤلفات ورسائل فقد ترك مجموعة من الأشعار في أغراض متنوعة[2]. وأهمّ الأغراض الذي نظم فيها هي إحياء ذكرى المولد النبوي والتشوق إلى زيارة البقاع المقدّسة. كما نظم أيضاً في الأغراض السلطانية كالتهاني وفي مواضيع أخرى كرثاء الشباب والاعتذارات.

---

(1) الإتحاف: 161/7.

(2) أورد بعض أشعاره في هذه الرسالة. كما أورد حفيده بيرم الرابع مجموعة من أشعاره في كناش نسب له خطأً وهو مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 18257، وكذلك محمد السنوسي في كتابه مجمع الدواوين التونسية.

فمن شعره يرثي شبابه: (الخفيف)

يا أخلائي يا أعزّ أصحابي ... احضروا مأتماً لِفَقْد شبابي
وأعينوا أخيكم في مصاب ... لا عدتم إدراك هذا المصاب
واعذروه ولا تكونوا عليه ... لُوَّماً في العويل والانتحاب

ومن قصيدة في التشوق لزيارة الرسول: (الطويل)

تلَهّبَ من شوقي إليك فؤادي ... فيا ليت شعري هل أنال مرادي
وهل تسعد العينان فيّا بنظرة ... لدار بها نور الرسالة بادي

ومن قصيدة في المولد النبوي (40 بيتاً): (الرمل)

يا لها من ليلة هبّ بها ... في فجاج الأرض مسْك أذفر
يا لها من ليلة نمت بها ... نفحة يقصر عنها العنبر

ومن شعره في التهاني ما قاله في تهنئة الوزير يوسف صاحب الطابع بجامعه[1]: (الطويل)

هنيئاً لإدراك المنى والرغائب ... ونيل الذي أملته من مطالب
بإتمام هذا الجامع المفرد الذي ... بدا كسماء زُيّنت بالكواكب
فجاء على قدر الفكر هيكلا ... عظيماً يرى أعجوبة في العجائب

كما هنّأ حمودة باشا بنفس المناسبة معتذراً عن تخلّفه يوم شهود الجمعة في الجامع[2]: (الطويل)

أهنىء بهذا الجامع الشامخ القدر ... جمال العلا حمودة النافذ الأمر

---

(1) الإتحاف: 7/93 ـ 94 ـ تاريخ معالم التوحيد: 221.

(2) معالم التوحيد: 221 ـ 222، وقد ذكر محمد بلخوجة أنه نقل هذه القصيدة من كنانيش أسلافه.

أميــر إذا عُــدّ الملــوك رأيتهــم نجوماً وكان البدر في وسط الشهر
ولا عجب إن فاقهم وهو منهم فـإن الليـالـي بعضهـا ليلـة القـدر
له المأثورات الغرّ والهمة التي عدت في التعالي دونها قمة النسر
وقـد أنبـأت آثـاره عـن علـوهـا ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخر
تعلقــت الآمــال منـه بـوضعـه مبـاشـرة مـن رام تنفيـذ ذا الأمـر
وما كان يعزى من الأمور لتابع فـذلـك للمتبـوع حـق بـلا نكـر
فحق هنا المولى بمكرمة أتى بها مجده تبقى إلى آخر الدهر
وحـق عليـه منـه لمّـا تـوضحـت جلالتها قسط عظيم من الشكر
أطال إله العرش في العزّ عمره ووفّقه للخير في السر والجهر
بحرمة خير المرسلين ومن له صفاء حالة مع ربّه من أولي السرّ
وما غاب عني أن سعيي واجب لهــذا الهنـاء لكننـي بيِّـن العـذر

وقد استدعى بيرم الثاني صديقه حسونة التركي[1] إلى الخروج معه لبعض المنتزهات فتخلّف هذا الأخير وراسله معتذراً بقوله[2] : (الخفيف)

يا مقيماً بمهجتي وفؤادي وأنيـس بكـل وقـت ونـادي
إن تأخرت عنكم بعض يوم عاقني الدهر عنكم بالبعاد
فبطيـف الخيـال منكـم أنيـس وعليه في كل حين اعتمادي
أنت في الناس ملجأ وملاذ وبكـم يقتـدي جميـع العبـاد
أســأل الله أن يكــون لطيفــاً بكــم دائمــاً ليــوم التنــادي

فأجابه بيرم الثاني بقوله: (الخفيف)

---

(1) توفي سنة 1222 / 1807. وقد ذكره محمد بلخوجة ضمن قائمة من تولّى الخطابة من الحنفية بجامع القصبة، وقال: كان جميل الخط. (تاريخ معالم التوحيد: 160 فما بعدها).
(2) تاريخ معالم التوحيد: 162.

يــا حبيبــاً أسكنتــه بفــؤادي ولـه قـدِ بـذلـت صفـو ودادي
قد أتاني منكم قريض يحاكي نظم درّ في عقد نحر الغوادي
منبئــاً عـــن مـــودة وإخـــاء وولاء وعــن جميــل اعتقــاد
ليس فيه عيب سوى أن قنعتم بخيـال عـن وصلـة الأجسـاد
لا أرى ذاك فـي المحبّـة رأيـاً حسبما قادني إليه اجتهادي
حــاطـك الله بـالكـلاءة منـه وأرى للجميع وجه الـرشـاد
بنبـيّ الهـدى الـذي لاح بـدراً فـائقـاً كـل كـوكـب وقـاد
فعليـه السـلام مـا غنّـت الـور ق على غصن دوحها الميّاد
وعلـى آلـه الكـرام وصحـب من على حبهم كبير اعتمادي
واعذرني فيما نسجت فلولا برقكم لاح ما قدحت زنادي

الشرح على النظم في المفتين الحنفية بتونس:

ألّف بيرم الثاني هذه الرسالة على مراحل. ففي المرحلة الأولى نظم قصيدة رائية على البحر الطويل ذكر فيها من توّلى خطة الإفتاء بتونس من المفتين الحنفية منذ استقرار الأتراك بتونس وقد بدأ هذا النظم بقوله: (الطويل)

إذا رمت للمفتين في تونس الخضرا على مذهب النعمان في عدّهم حصرا

وختمه بقوله:

وعــامـل مــن لـم يـأتـه أجـل لـه بلطف به من هذه الدار والأخرى

والنظم على صورته لم يكن إلا مجرد تعداد أو ذكر للأسماء دون التعمق في التفاصيل وهو ما لا تسمح به هذه القصائد عادة.

ولهذا النظم نسخ عديدة في مجاميع البيارمة وكنانيشهم المتعددة[1].

(1) الكناش رقم: 18257 (خزانة حسن حسني عبد الوهاب بتونس).

أما المرحلة الثانية فهي شرح هذا النظم. فقد تأكدت لبيرم الثاني ضرورة شرح هذا النظم وذلك لسببين اِثنين:

- الأول: أن المؤلف اقتنع أن نظماً على صورته هذه لا يمكن أن يكون كثير الفائدة.

- الثاني: أراد أن يسد فراغاً طالما سيطر على الساحة الثقافية والعلمية بتونس في تلك الفترة. فقد لاحظ أن أغلب العلماء مهمشون باستثناء أصحاب الجاه والمقربين من السلطان، فعرّف بيرم الثاني في هذا الشرح بالكثير من الأعلام الذين ساهموا مساهمة كبيرة في بلورة الحياة الثقافية في تلك الفترة.

أما المرحلة الثالثة: فتتمثل في تلك الزيادات والإضافات التي أضافها عندما نسخ بيرم الثاني ثانية هذا الشرح لَمَّا فَقَد نسخته الأولى.

ولكن ماذا تعني لفظة شرح في عمله هذا وما الذي شرحه في هذه المنظومة (القصيدة؟).

إنّه ليس ذلك الشرح العادي، أي شرح المفردات، بل توسّع في ترجمة العَلَم أو المفتي متعرضاً إلى كل ما يهم جوانب حياته العلمية والمهنية كما سنبيّنه فيما بعد. وكأننا بالمؤلف اتبع منهج ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة فيترجم ويؤرخ ويذكر الأشعار ويستطرد.

وقد أتم هذا الشرح في ربيع الأول سنة 1229 / 1814. والجدير بالذكر أن بيرم الثاني لم يشرح البيت السابع عشر الذي ذكر فيه ابنه بيرم الثالث وأحمد بلخوجة.

فما هي مصادره لإنجاز هذا الشرح؟

تجدر الإشارة إلى أن المؤلف ترجم في هذا الشرح إلى فئتين من المفتين:

ـ فئة أولى، وعددها أحد عشر، لم يدركها.

ـ فئة ثانية، وعددها عشر، أدركها.

وانطلاقا من ترجمة محمد أرنؤوط قال: «هذا ابتداء من أدركته من مفتيي الحنفية».

أما مصادره التي استقى منها مادته فقد تنوّعت. فقد اعتمد مصادر مكتوبة وأخرى شفوية.

فمن مصادره المكتوبة التي استقى منها مادته، كتاب الوزير السرّاج: الحلل السندسية وكتاب حسين خوجة بشائر أهل الإيمان.

كما اعتمد أيضاً على شواهد القبور والرخامات التذكارية خاصة للتأكد من بعض التواريخ أو التثبت من بعض أبيات المراثي المكتوبة على الأضرحة.

أما مصادره الشفوية فهي كثيرة: إما من المترجم لهم أو من غيرهم من علماء الحنفية والمالكية. يتضح ذلك من خلال قوله : «حكى لي بعض التجار الذين سافروا لاسطنبول»[1] وقوله أيضاً: «... حكى لي من كان رئيس الكتاب ببلادنا...»[2]، أو: «سمعت منه رحمه الله تعالى»[3].

أما عن الأسلوب الذي اعتمده فيمكن القول أن المؤلف قد جارى سنّة عصره واتبع نسق مؤرخي تلك الفترة، فلم يتخلص من القوالب

---

(1) في ترجمة: عبد الكبير بن علي الصوفي.

(2) في ترجمة: حسين البارودي.

(3) ترجمة حسين البارودي، وقد سمعه المؤلف مراراً يؤكد أنه قرأ شرح قطر الندى على الإمام أبي عبدالله محمد الحرقافي.

المعهودة في الإطراء والتفنن في التلميحات والسجع خاصة في تحلية مترجميه.

ويغلب على هذا النص الاستطراد. ففي صلب الترجمة الواحدة نجد استطرادات كثيرة قد تبعدنا أحياناً عن العناصر الأساسية للترجمة وتسبب نوعاً من الاضطراب في تناسق النص. ففي ترجمة محمد أرنؤوط استطرد إلى ذكر وفاة الشيخ يوسف درغوث وأورد ما كتب على ضريحه من إنشاء أبي العباس أحمد سميّا ومرثية أبي عبدالله محمد سعادة فيه، وكان من المنطقي أن يذكر كل ذلك في ترجمة الشيخ يوسف درغوث الذي ترجم له قبل الشيخ محمد أرنؤوط.

وتعتبر ترجمة أبيه (بيرم الأول) خير نموذج لهذا الاستطراد، فبعد أن ترجم له وذكر شيوخه ومجموعة من مؤلفاته استطرد إلى ذكر تقاريظه لبعض الرسائل فأوردها برمتها[1]، كما أورد بعض المدائح التي قيلت فيه كمدحية حمودة بن عبد العزيز صاحب التاريخ الباشي.

أما عناصر الترجمة فهي العناصر المألوفة في ذلك العصر: تاريخ ولادة المترجم له ثم أسماء الشيوخ الذين جالسهم والمتون والحواشي التي قرأها عليهم وبعض الكتب التي دوّنها ولمحة عن نشاطه العلمي والوظائف التي تقلدها الواحدة تلوى الأخرى وهي: التدريس والخطابة والقضاء والإفتاء والإمامة، كما لا يفوته ذكر تواريخ تولية وعزل المترجم له عند ذكره لهذه الوظائف وسبب العزل والمحن التي تعرّض إليها، ويذكر كذلك تاريخ وفاته كلّما تسنّى له ذلك. كما يدوّن ما قيل فيه

(1) انظر مثلاً تقريظه على شرح أبي النخبة مصطفى الطرودي وتقريظه على رسالة ابنه (بيرم الثاني) التي ألّفها في سفينة المستأجر ملاحها على تبليغ متاع فيها.

من عيون المراثي وما أنشده أو دبّجه من التقاريظ أو التهاني.

لكـن كل هذه العناصر لا تتوفر في كل التراجم التي احتوى عليها هذا الشرح بل تتوفر أساساً في تراجم البارزين من هؤلاء المفتين كأحمد الشريف الأندلسي (الترجمة الثالثة) وترجمة عبد الكبير بن يوسف درغوث (الترجمة السابعة) وترجمة والده (الترجمة الخامسة عشر) وغيرها.

لكن كيف قدّم المؤلف هذه المادة وهل كان أميناً في هذه التراجم؟.

بتتبّعنا للتراجم الواردة في هذه الرسالة تتضح لنا أمانة بيرم الثاني. فهذه التراجم وإن لم تخل من القوالب المألوفة في تحلية المترجم لهم فإنها قد عبّرت عن مواقفه الصريحة والموضوعية من بعض هؤلاء المفتين، فنقدهم بكل جرأة وصراحة. فقد وافق أولي الأمر على عزلهم لعدم كفاءتهم. كما سدّد سهام لومه على رجال السلطة الذين تجاهلوا ذوي الكفاءات وأسندوا المهام إلى من لا قدرة لهم على الاطلاع بها.

كما أشار في هذه الرسالة إلى ضعف ملَكة بعض مفتي الحنفية وعدم إلمامهم بالنوازل والقضايا الأمر الذي أجبر الأهالي على الالتجاء إلى المفتين المالكية. وقد عبّر صراحة عن قصور هؤلاء المفتين بقوله: «وأقول: هذه القضية تنبىء عن قصور كل من المفتي والإمام»[1] . كما أشار في مناسبة أخرى أن المفتي الحنفي كان يتلقى الأجوبة عن المسائل من المفتي المالكي وترسل إليه في بطائق. فقد أورد في ترجمته عبد الكبير بن يوسف درغوث: «حكى لي حفيد الشيخ عبد الكريم للبنت وهو

(1) ترجمة: أحمد الشريف (الترجمة الثانية).

أحمد اللونقو أن الناس لعلمهم بقصور الشيخ عبد الكبير لا يأتونه للاستفتاء بل يذهب حنفيهم كمالكيهم للشيخ فتاتة، فكان إذا أتاه حنفي يسمع منه نازلته ثم يقول: مالك لا تذهب لمفتيكم؟ اذهب إليه، ويرسل إليه في الحين بطاقة مضمونها: ترد عليك مسألة كذا وجوابها كذا، قال: وجمعنا بعد موته قفافاً بطاقات الشيخ فتاتة»[1].

إن قيمة هذه الرسالة لا تخفى على الباحثين في التاريخ التونسي الحديث، فقد سجل فيها بيرم الثاني أخباراً وتراجم قد لا نظفر بها في مصادر أخرى. فقد دوّن تراجم المفتين الحنفية بالبلاد التونسية على امتداد قرنين باسطاً الكلام حول حياتهم العلمية والإدارية. كما دوّن ما نشب بينهم من خصومات ووشايات نتج عنها العزل أو السجن أو النفي[2].

كما سجّل حرص البعض على الجمع بين الوظائف العديدة بإيعاز من السلطة كرمضان أفندي الذي أُستُقْدِم خصيصاً من اسطنبول لتقَلُّد وظائف الإفتاء والتدريس والإمامة، رغم جهله للعربية. كما أرّخ فيها المؤلف إلى أهم العائلات بتونس في تلك الفترة وما اضطلع به أفرادها من مسؤوليات ومهام والمدة الزمنية التي قضوها في هذه الوظائف، فالفتوى وخطبة الجامع اليوسفي مثلاً خرجت من بيت الدرغوثيين بعد أن أقامتا به من سنة 1075 إلى سنة 1169. كما أرّخ إلى العائلات التي حظيت بمكانة مرموقة بتونس مباشرة إثر الاحتلال العثماني، فالبيارمة مثلاً (وهم أسلاف المؤلف) كانوا في البداية جنوداً غزاة مع سنان باشا ثم تدرّجوا إلى أرقى المناصب كالقضاء والإفتاء ومشيخة الإسلام. كما دوّن فيها المسائل

---

(1) ترجمة: عبد الكبير بن يوسف درغوث.
(2) ترجمة: حسين البارودي.

الفقهية التي كانت تثار في تلك الفترة وكذلك المناظرات والمساجلات التي كانت تدور في البلاطات.

والنص وثيقة سجّل فيها المؤلف واقع الحياة الفكرية بأهم المدن التونسية مثل تونس وصفاقس والمنستير. كما سجّل فيها نشاط أهم معاهد العلم من مدارس ومساجد في تلك الفترة.

كما سجل إفادات عن الكتب والمتون التي كانت مقررة للدراسة في المدارس أو حلقات المساجد والمتون التي ألفت في تلك الحقبة ككتاب شرح منية المصلي الذي ألّفه أحمد الشريف الأندلسي فقد قال فيه: «... أبان فيه عن يد طولى وباع مديد وسعة اطلاع...»[1] أو شروح مختصر كتاب المنار التي انفرد بذكرها هذا النص ولم نجد لها ذكراً في المصادر الأخرى.

كما احتوى النص على مجموعة من التقاريظ والمدائح والمراثي وبعض الأشعار في أغراض أخرى تبرز لنا حقيقة الواقع الأدبي لذلك العصر.

وهو أيضاً وثيقة للتلاقح الفكري والعلمي بين علماء المذهبين (المالكية والحنفية) رغم سيطرة الأحناف. فالبلاد التونسية تشبعت لحقبة زمنية طويلة بالمذهب المالكي، ثم سيطر عليها أقوام حاولوا قدر جهدهم إقصاء أهله وأعلامه من حظيرة الحياة السياسية والعلمية وهو ما أدّى أحياناً إلى الصراع بين الطائفتين.

إنها وثيقة، رغم اختصارها، تؤرخ لفترة تزيد عن القرنين أي من سنة 1019 / 1610 إلى سنة 1229 / 1813.

---

(1) ترجمة: أحمد الشريف الأندلسي.

وهذا أمر طبيعي أن تكون هذه الوثيقة مصدراً لمن أتى بعد بيرم الثاني من المؤرخين، فقد نقل منها الوزير السرّاج في كتابه الحلل السندسية وابن أبي الضياف في كتابه الإتحاف[1] والبيارمة في كنانيشهم ومحمد السنوسي في كتابه مسامرات الظريف.

النسخ الخطية المعتمدة ومنهج التحقيق:

أفادنا بيرم الثاني أنه فَقَدَ نسخته من هذا الشرح فاقتنى نسخة أحد أصدقائه لينسخ عنها أخرى. وأثناء النسخ ظهر له أن يضيف إلى الشرح الأول أشياء ويحذف منه أخرى. وبالتالي يمكن أن نعتبر أن هذا النص الذي بين أيدينا هو النص المنقح والنهائي. وقد أتمّه في ربيع الأول سنة 1229 / 1813. وفعلاً وجدنا فئتين من النُسَخ لهذا الشرح:

1 ـ الفئة الأولى التي تمثل نسخ النص الأوّل.

2 ـ الفئة الثانية التي تمثل نسخ النص المنقّح.

لكن ما الذي يفرّق بين الفئتين أو النصين؟

عند مقارنتنا بين النصين لاحظنا أن الاختلاف بينهما يشمل أحياناً فقرات كاملة. فأضاف المؤلف في النص الثاني معلومات لا نجدها في النص الأول وبعض القصائد والتقاريظ. وهذه الاختلافات أحياناً طفيفة لا تتعدى الناحية الأسلوبية أو العبارات أو الجمل الاعتراضية.

وقد كثرت نسخ هذا الشرح وهي نسخ توزعت في مكتبات أفراد هذه العائلة وأخرى نسخت ضمن كنانيش متعدّدة.

وفي تحقيقنا لهذا الشرح اعتمدنا النسخ التالية:

ـ نسخة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب وقد رمزنا إليها بالحرف

---

(1) راجع مثلاً: ترجمة بيرم الأول.

ـح ـ، محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 18676، تقع في 44 ورقة، ذات مقاس: 17/24 صم، مسطرتها: 19، نسخت في أواخر رجب سنة 1312 / 1894. لا نعرف ناسخها، خط مغربي مقروء، وقد نسخت عن نسخة المؤلف. وقد اعتبرناها النسخة الأمّ لأنها تنتمي إلى الفئة الثانية وهي أتمّ نسخة عثرنا عليها. وبهامشها تعاليق كتبت بالمداد الأحمر، وواضح أن هذه التعاليق مضافة من الناسخ أراد بها إضافة بعض المعلومات والفوائد لها صلة بالنص وأحياناً لا صلة لها به. ومن أمثلة هذه الإضافات: عند ذكر وفاة الشيخ أحمد الحنفي الأندلسي سجّل الناسخ في الهامش: «اعرف وفاة المترجم له سنة 1067 وبعد موته بسنتين كانت وفاة الشيخ حسن الشرنبالي والشيخ شهاب الخفاجي وقبله بخمس سنين كانت وفاة الشيخ اسماعيل النابلسي».

وما شابه هذا التعليق كثير في النسخة. وهي سمة من سمات الناسخين خاصة في هذا العصر الذي ينتمي إليه الكتاب.

ـ نسخة ثانية وقد رمزنا إليها بحرف ـ أ ـ، محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 21782 وتقع في 42 ورقة، مسطرتها: 17، خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ. وقد احتوت النسخة بالإضافة إلى الشرح على ورقتين ذكر فيها قضاة المالكية وبعض الأوراق الأخرى في التراجم لا علاقة لها بالشرح. وقد كُتِب النظم بالمداد الأحمر. وتبدأ هذه النسخة كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. هذا شرح الأبيات المنظومة فيمن ولي الفتوى من الحنفية بتونس المحمية في الدولة التركية». وهذه النسخة تتفق مع النسخة الأولى إلا في بعض الاختلافات اليسيرة.

وبها أيضاً تعاليق هامشية مهمة تفيدنا ببعض الإشارات والإفادات

التي ربما غفل عنها المؤلف كتولّي حسين البارودي التدريس بالشماعية بعد الشيخ عبد الكبير الصوفي.

- نسخة ثالثة وقد رمزنا إليها بحرف - ب - محفوظة بدار الكتب الوطنية أيضاً تحت رقم 58 وتقع في 26 ورقة، ذات مقاس: 18/24.5 صم، مسطرتها: 21، خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ. وتنتهي النسخة بما يلي: «وكان الفراغ من جمع هذا التقييد المكتوب بخط جامعه الفقيه محمد بيرم الثاني - بلغه الأماني - يوم السبت التاسع عشر من أشرف الربيعين من عام تسعة وعشرين ومائتين وألف. وتمّ بفضله تعالى نسخ هاته النسخة في 27 المحرم فاتح شهور عام اثني عشر وثلاثمائة وألف». وبها كذلك تعاليق هامشية.

ويمكن اعتبار هذه النسخة من نسخ الفئة الأولى إذ أنها تختلف عن النسختين السابقتين فقد سقطت منها بعض الفقرات الكاملة. وبها تعاليق تخصّ أعلاماً أو مواضع أو بعض النقول من كتب أخرى كرحلة العياشي ورحلة شمس الدين العبادي[1].

ونشير إلى أن قسماً من هذا الشرح (من ترجمة رمضان أفندي إلى ترجمة علي الصوفي) نشر بمجلة الندوة[2] تحت عنوان: المفتون الحنفيون بتونس من عهد بداية الحكم التركي. وقد افتتحت أسرة المجلة هذا القسم بقولها: إحياءًا للتراث التونسي المغمور وإمدادًا للباحث عن تاريخ تونس العلمي والاجتماعي والسياسي، وقد قلّت المصادر والموارد، رأت مجلة

(1) ونحن ننهي هذا العمل اكتشفنا نسخة أخرى لهذا الشرح في كنّش خليل الطواحيني المحفوظ بدار الكتب الوطنية (رقم 529)، والطواحيني هذا كان على صلة وثيقة بأسرة البيارمة. وقد ذكر الطواحيني أنه نسخ هذا الشرح من أصل المؤلف، لكن لم يتسن لنا استغلال هذه النسخة.

(2) الأعداد: 5 - 6 - 7 - 8 - (جويلية - أكتوبر، 1945).

الندوة أن تنشر هذه الرسالة القيمة التي ألفها صاحبها مترجماً فيها لمن تولى الفتيا الحنفية بتونس...».

لكن لم تشر المجلة إلى النسخة المعتمدة لنشر هذا الشرح. وطبيعي أن عملاً كهذا لا يمكن أن يترك جانباً، بل رجعنا إليه كلما دعت الضرورة لذلك للتثبت في بعض العبارات أو الفقرات أو للمقارنة.

أما عن عملنا في هذا التحقيق فقد حرصنا قدر الإمكان أن نبرز النص الصحيح الذي أراده المؤلف. وقد اعتمدنا في ذلك على ما سبق وصفه من النسخ الخطية متخذين النسخة ـ ح ـ هي النسخة الأم. ولم نعر أي اهتمام للاختلافات الطفيفة (الرسم ـ الأخطاء الشائعة) بين هذه النسخ إذ فضلنا عدم إثقال الهوامش بها. وقد أشار بيرم الثاني أحياناً إلى مصادر أخرى نقل منها فقرات حاولنا قدر الإمكان الرجوع إليها والمقارنة بينها وبين المخطوط، وقد أحلنا على ذلك في الهوامش. كما حرصنا على استغلال الإضافات والتعاليق التي وجدت في هوامش النسخ الثلاثة المعتمدة. وتعميماً للفائدة، عرّفنا في هذه الهوامش ببعض أعلام ذلك العصر وبعض معاهد العلم من مدارس وجوامع وكذلك بعض المتون التي كانت تدرس أو التي أُلّفت في ذلك العهد محيلين على مصدر أو أكثر لمن يريد المزيد من التوسع.

وبعد،

فهذه رسالة بيرم الثاني في المفتين الحنفية بتونس. وهي مصدر مهمّ يضاف إلى المصادر الأخرى التي تؤرخ للحياة الإدارية والثقافية بالبلاد التونسية على امتداد قرنين.

ونأمل بنشرنا لها أننا أضفنا إلى المكتبة التونسية خاصة والعربية عامة مصدراً جديداً للباحثين في تاريخ تونس الحديث.



المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

نحمدك يا من تفضل بنظمنا في سلك أهل العلم . ونصلي على
نبيك المختص بغاية الرأفة والحلم . وعلى آله وصحبه الحائزين
قصب السبق في قوة الإدراك وثقوب الفهم . وبعد :
فقد كنت نظمت أبياتا فيمن ولي الفتوى من الحنفية . بتونس :
المحمية . منذ استقرت بها الدولة التركية . وذلك سنة
أحدى وثمانين وتسعمائة وأردت الآن شرحها . بتبيين تراجم
المذكورين بها . وقد افتتحتها بقولي :

إذا رمت للمفتين في تونس الخضرا
على مذهب النعمان في عدهم حصرا
فأولهم شهم بالصلاح غدا اشتهر
يوضح الاجتماع بين كل الورى يقرأ زمنه

أول المفتيين هو الشيخ رمضان أفندي كان قد قدم من الروم
بوظيفة القضاء على العادة أيام يوسف داي التي كان بدؤها
١٠١٩
عام تسعة عشر بعد الألف فلما استوفى مدته وراق
الموضع البقاء منعه ذلك الداي وقلده الفتوى كما قلده في خطبة
جامعه ومشيخة مدرسته المشهورين حين أنشأهما وكان
أول خطيب به ومدرس بها وحكى عمي خوجة والوزير

الورقة الأولى من نسخة ـ ب ـ



الفراغ من جمع هذا التقييد المكتوب بخط جامعه محمد بن يحيى
أثناء بلغ الاماني يوم السبت التاسع عشر من شهر ربيع
من عام تسعة وعشرين ومائتين وألف

وتم بفضله تعالى نسخ هذه النسخة في المحرم
بالمنصور عام ١٣١٢ ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف

الورقة الأخيرة من نسخة ـ ب ـ





الورقة الأخيرة من نسخة ـ ح ـ

شرح الشيخ بيرم الثاني على نظمه في المفتين الحنفية بتونس

تأليف: بيرم الثاني

تقديم وتحقيق

محمد الزاهي



بِسم الله الرّحمٰن الرّحيم
وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وسلّم

نحمدك يا من تفضّل بنظْمنا في سِلك أهل العلم، ونصلّي على نبيّك محمد المختصّ بغاية الرأفة والحلم، وعلى آله وصحبه الحائزين قصب السبق في قوة الإدراك وثقوب الفهم.

وبعد، فقد كنت نظمت أبياتاً فيمن ولي الفتوى من الحنفية بتونس المحميّة منذ استقرّت بها الدولة التركية وذلك سنة اِحدى وثمانين وتسعمائة، وأردت الآن شرحها ببيان تراجم المذكورين بها. وقد افتتحتها بقولي:

إذا رُمت للمفتين في تونس الخضرا على مذهب النعمان في عدّهم حصْرا
فـأوّلهـم شهـر الصيـام غـدا اسمـه بوصفه الأفندي بين كل الورى يُدْرى

أوّل المفتين بتونس هو الشهير برمضان أفندي[1]. وكان قد قدم إليها من الروم بوظيفة القضاء على العادة أيام يوسف داي[2] التي كان بدؤها

(1) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 169 ـ الحلل: 2/355 ـ 357.
(2) راجع أخباره في: الحلل: 2/350 وما بعدها ـ المؤنس: 205 ـ 208 ـ نزهة الأنظار: 2/91 ـ 94.

عام تسعة عشرة بعد الألف[1]. فلما استوفى مدته ورام العود إليها منعه ذلك الداي وقلّده الفتوى كما قلّده خطبة جامعه[2] ومشيخة مدرسته[3] الشهيرين به حين أنشأهما. فكان أول خطيب بذلك الجامع وأوّل مدرّس بتلك المدرسة.

وحكى حسين خوجة والوزير في تاريخيهما أنه اشترط في وقف جامعه أن تكون خطبته لمفتي الوقت. ويؤيد ذلك دَوَرَان هاته الخطبة مع الفتوى وجوداً وعدماً بحيث أن من يتولى الإفتاء يتولاها ومن يعزل عنه يعزل عنها ومن يعود إليه تعود تلك الخطبة إليه، ولم يتخلف ذلك إلاّ لمدة قريبة. ولم أتحقق عام ولايته، فتكون البلاد شاغرة من مفت حنفي نحواً من أربعين سنة. كما لم أتحقق عام وفاته إذ لم يذكروا، إلا أنه مات في أيام يوسف داي. وقد ذكر الوزير[4] أنه كان بتونس عام سبعة وثلاثين من أيام ذلك الداي الشهير بعام السطارة[5] وهو الذي قدم فيه الجزيريون على يوسف داي القدوم الثاني بسبب التنازع في الحد الفاصل بين المملكتين، ووقعت فيه ملحمة عظمى بين العسكرين، وتلافاها عقلاء البلاد وأرسلت جماعة من الأعيان لمَحَلَّة الجزيريين وهي بقرب الكاف لعقد الصلح بين الفريقين، إذ قد ذكر ـ أي الوزير في تاريخه ـ أن رمضان أفندي كان من المرسلين في ذلك، ولا أدري أنه إذ ذاك قاضي البلد أو مفتيها.

---

(1) الموافق لسنة 1610 م.

(2) هو أول جامع حنفي بتونس بني بعد الفتح العثماني، بناه يوسف داي سنة 1021 / 1612، ويعرف أيضاً بجامع البشامقية. (تاريخ معالم التوحيد: 177 ـ 181).

(3) حول هذه المدرسة، راجع: تاريخ معالم التوحيد: 305 ـ 306.

(4) الحلل: ج 2، ق 1، ص: 176.

(5) راجع ذلك مفصلاً في: الإتحاف: 2/33 ـ الحلل: 2/360 وما بعدها ـ المؤنس: 208 ـ نزهة الأنظار: 2/94.

ومن المرسلين معه الشيخ تاج العارفين البكري[1] إمام الجامع الأعظم والشيخ ابراهيم الغرياني القيرواني[2] والشيخ البركة ابراهيم الجديدي[3] فقوبلوا بالإقبال، وانعقد الصلح على أن الفاصل بين العملين هو وادي صراط فما كان بعدوته الغربية فهو للجزائريين وما هو بعَدْوته الشرقية فللتونسيين.

* * *

وجاء اثنان كل بالشريف وأحمد	تَسمّى ولكن الذي يكشف السّترا
تلقّب من قد جاء في العدّ ثالثاً	بالأندلسي وهو الفتى السالك الفقرا

تعاقب على الفتيا بعد رمضان أفندي اثنان يسمّى كل منهما بأحمد الشريف والمُميّز بينهما هو تلقّب ثانيهما بالأندلسي.

أما أحمد الأول[4] فكان من أبناء الترك. ولد بتونس، وحفظ القرآن العظيم، ثم اشتغل بالعلم. فأخذ أولاً الفقه المالكي إذ لم يكن بالبلد من يعرف مذهب أبي حنيفة. ثم لما قدم رمضان أفندي وولي مشيخة اليوسفية

---

(1) الإتحاف: 7/67 ـ الحلل: 2/601 ـ 611 ـ شجرة النور: 293 ـ 294 ـ الشهب المخرقة: 128 ـ مسامرات الظريف: 107.

(2) لم نقف على ترجمته في المصادر المعتمدة وقد حلاّه السراج بقوله: «العالم العلم والنحرير الأتم، مالك زمامي العبادة والقلم، المغترف من فيض الفتح الرباني...» وذلك في حديثه عن واقعة السطارة.

أما الشيخ محمد النيفر فقد عدّه من شعراء تونس فيما بعد الألف من الهجرة، فقد قال: ... أما الأدب فإن أول من اشتهر به فيما علمت بعد الألف الأريب العالم والمجدّد لتونس من علوم الأدب العالم الفقيه المتقن أبو علي ابراهيم ابن العالم الفقيه عبد اللطيف الغرياني، فاعتنى بالأدب وخصوصاً علم البديع». وذكر أنه نظم قصيدة تقع في مائة وسبعين بيتاً سماها: ترصيع البديع في مدح الشفيع، وأخرى سماها: حسن الترصيع في ألقاب البديع.

(راجع: الحلل: 2/362 ـ عنوان الأريب: 1/140 ـ 142).

(3) زاويته معروفة قرب زغوان وقد خدمه الشيخ أبو الغيث القشاش وبه تخرّج.

(4) ذيل بشائر الإيمان: 170.

على ما تقدم، وشرع في إقراء الدرر[1] بها حضر له فيه الشيخ أحمد هذا فقرأ عليه نصفه الأول، فلما أراد تكميل نصفه الثاني قال له شيخه رمضان: «والله لا يكمله عليك إلا أنا» فأقعده في المحراب وكمله عليه. وأطنب في مدحه ليوسف داي وعرفه أنه بعد أن أقرأه صار يقرأ عليه. وحصل للشيخ أحمد بذلك صيت في البلد ووجاهة مع يوسف داي، وهذا يدل على إنصاف رمضان أفندي وحسن طويته كما ينبىء عن قصوره وضعف ملكته.

ولما توفي الشيخ رمضان أفندي أولاه يوسف داي جميع وظائفه من الفتوىٰ وخطبة جامعه ومشيخة مدرسته فأقرأ الدرر بها. والذي أظن أن الرجل في الفقه ليس بذلك وكيف تكون ملكة من لم يقرأ في مذهب سوى نصف كتاب على شيخ كمله ذلك الشيخ عليه. وما سبب هذه الشهرة إلا شغور البلد ممن يحسن المذهب الحنفي كما قال الشاعر: (الوافر)

لعمر أبيك ما نسب المعلىٰ ... إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

ومصداق ذلك ما حكاه الوزير[2] في دولة أحمد خوجة المتولي عند موت أسطا مراد عام خمسين وألف فإنه ذكر أن ذلك الداي لما عقد النكاح لابنه وجمع لذلك الأعيان من الباشا والفقهاء وأهل الديوان وأخذ العدول في وضع خطوطهم في رسم العقد رفع الرسم لمفتي الحنفية الشيخ أحمد هذا ليضع خطه بصحته فأبى وعلّل ذلك بأن البنت خليّة عن أب وتعقدون النكاح عليها قبل استيمارها وهذا لا يجوز. وكان في المجلس إمام الداي وهو الشيخ أبو عبدالله محمد برناز الأكبر المعروف بقارة

---

(1) هو كتاب: درر الحكام في شرح غرر الأحكام تأليف محمد بن فرموز الشهير بمنلا خسرو الحنفي المتوفى سنة 885 / 1480.

(2) الحلل: 2/398.

خوجة[1] وهو أحد تلامذة ذلك المفتي فقال له: «يا سيدي إن الشهود يسمعون منها إذ انصرفوا فَضَعْ خطك للبركة» فلحّ في الإباء، فلما سمع الداي تحاورهما سأل إمامه عن سبب امتناع المفتي من وضع خطه فحكىٰ له ما تعلل به من بحث الاستيمار. فأمر بإدارة الطِّيب لقطع المجلس، ثم اختلىٰ بإمامه وحلف له أنه ليبْحثن عن حكم المسألة فإن تبين له خطأ المفتي في امتناعه انتقم منه وإن ظهر صوابه في ذلك انتقم من الإمام لأنه كان عالماً بحكم المسألة ولم ينبهه للاستيمار قبل المجلس. فخرج الإمام من عنده هائماً على وجهه فاستقبله جندي ما وقعت عليه عينه قط، يقال أنه الخضر عليه السلام، فقال له: «أما تذكر اليتيمة الفلانية كيف أجاز هذا المفتي استيمارها بعد العقد فما باله منعه هنا والقضية واحدة». فرجع إلى الداي وأخبره بذلك فصدقه فيه لأنه كان حاضراً لذلك العقد. وكان سبباً لعزل المفتي عن جميع وظائفه حتى خشي عاقبة الأمر.

وأرسل إلى الإمام ليلاً فأتاه وتكلم معه في أن يصلح أمره مع الداي لعلمه بمكانته لديه وأعطاه مائتي سلطاني، فحلف أن لا يقبلها وتكفّل له برد وظائفه إن أرادها، فقال له: أريدها سوى الفتوىٰ. فلما أخبر الإمام الداي بما دار بينهما وفّى له بجميع ما تكفّل للمفتي به.

وأقول: هذه القضية تنبىء عن قصور كل من المفتي والإمام. أما الأول فلأنه لا وجه لامتناعه من الفتوى بصحة العقد سواء كانت البنت قاصرة عن درجة البلوغ أم بالغة، أما على الأول فلأنه لا معنى لاستيمارها لا قبل العقد ولا بعده إذ الصغير لا يعتبر له رضى حتى يستأمر بل متى عقد له وليّه ولو امرأة من ذوي الأرحام عند فقد العاصب صحّ العقد نافذاً من

(1) ولد سنة 1012 / 1604 وتوفي سنة 1084 / 1673. وترجمته في: الحلل: 400/2 وما بعدها ـ ذيل بشائر الإيمان: 172.

الأب عند الإمام وإن كان يثبت لها خيار البلوغ فيما إذا لم يكن العاقد له أباً ولا جداً كما في مسألتنا، أما على البلوغ فلأنه وإن كان فيه الاستيمار إلا أنه على سبيل الأولوية دون الوجوب لأن قصارى العقد بدونه من أب فمن دونه أن يكون عقد فضولي وهو غير فاسد عندنا وإنما هو غير لازم حتى يتوقف على الإجازة وذلك لا ينفي عنه الصحة بل يثبتها وإلا لما نفعت الإجازة فيه وحينئذ فما يمنعه من الإفتاء بها ولئن خشي توهم لزومه يزيد: موقوف على إجازتها. وأما الثاني وهو الإمام فلأنه لم يرد على المفتي إلا بأنه أجاز الاستيمار بعد العقد في نظير النازلة ومنعه فيها، ذلك مبلغه من العلم.

وأما أحمد الثاني وهو الأندلسي[1] فهو العالم العامل البارع الكامل الورع الزاهد الجامع للمعقول والمنقول المحقق للفروع والأصول.

ولد بالأندلس وخرج منها حين تغلب عليها العدو. وقذفت به أيدي النوى إلى بلاد البوشناق. فأخذ عن علمائها ثم كرّ إلى بورصا وبها إذ ذاك فضلاء فأخذ عنهم أيضاً. وكان رفيقه في الأخذ عنهم يحيى أفندي الذي ولي بعد ذلك مشيخة الإسلام للسلطان مراد فاتح بغداد. ولما بلغه استقرار قرابته الذين أجْلَتهم نكبة الأندلس عنها بتونس توجه إليها، فدخلها بعلْم جمّ، وبثّ فيها الفقه النعماني، فأخذ عنه جماعة أعظمهم شأناً الشيخ مصطفى بن عبد الكريم الآتي ذكره، ولا زال تنقله طبقة عن طبقة إلى وقتنا هذا.

وله عدة تآليف أجلّها: شرح منية المصلي[2] أبان فيه عن يد طولى

---

(1) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 170.

(2) منية المصلي وغنية المبتدي للإمام سديد الدين محمد بن محمد الكاشغري المتوفى سنة 705 / 1305. (كشف الظنون: 2/1886).

وباع مديد وسعة اطلاع. ولا غرابة في تحقيقه مذهب غيره أيضاً من المالكية والشافعية، ينقل نصوص كتبهم ويستدرك بالراجح على الأخذ منهم بالمرجوح.

ولما دخل تونس أعطي تدريس الشماعية[1]، وهو أول من أعطيه من الحنفية، والفتوىٰ بعد عزل الشيخ أحمد الشريف التونسي أيام أحمد[2] كما سبق.

وقد كان السلطان مراد طلب من شيخ الإسلام يحيى أن ينظر له فقيهاً يتخذه إماماً ومعلّماً فذكر له الشيخ أحمد هذا السابق ما بينهما من الألفة أيام القراءة: (البسيط)

إن الكـــرام إذا مـــا أيســـروا ذكـــروا
مـن كـان يـألفهـم فـي المنـزل الخشـن

وإلاّ فما كانت القسطنطينية العظمى وهي إذ ذاك أمّ البلاد وقُبّة الإسلام تخلو من مثله.

وعرف السلطان أنه بتونس من أرض المغرب، فخرج الفرمان المطاع وعيّن به قبجي باشا في استدعائه لدار الملك، فأجاب بالامتثال وتهيّأ للسفر، فاجتمعت عليه قرابته وفيهم والدته فبكوا بين يديه وأبكوه، فرجع عن ذلك وكتب بعذره لشيخ الإسلام ليقرره عند السلطان فقرّره لديه فقبله منه، وعيّن قبجي باشا ثانياً بفرمان يتضمن الأمر بتعيين ست ريالات له من الجزية كل يوم، فاستكثر الشيخ ذلك وقال: ربعها يكفيني،

---

(1) سميت بهذا الاسم نسبة إلى سوق الشماعين الذي كان حولها وهي من مآثر الأمير أبي زكرياء الحفصي، بناها سنة 633 / 1235 وتداركها أحمد خوجة بتجديد عمارتها في سنة 1057 / 1647. (راجع: معالم التوحيد: 285 ـ 287).

(2) سقطت من ـ ح ـ.

فاقتصرت به عليه. ولما ظهر له بهذه الواقعة شفوف، وكان تعيين ذلك القدر بهذا القطر غير مألوف، مع أن داء الحسد الذميم بين الفقهاء قديم، تعصبّوا عليه فنصبوا له حبائل المكر حتى نسبوه للكفر في قضية حكاها في تأليف له في صفة الإيمان[1] محصولها أنه سئل عن صغيرة في حضانة أمها المطلقة وصلت لحدّ الشهوة ولم تبلغ بعد هل تسقط حضانة أمها فيها حتى ينتزعها أبوها أم لا حتى تبقى عندها إلى بلوغها؟ فأجاب بما هو المعتمد في المذهب من قول محمد بسقوطها، وكان المعارضون له أجابوا بقول الإمامين من عدم السقوط وبقائها في حضانتها حتى تبلغ، وزعموا أن ذلك قول أبي حنيفة وجميع أصحابه، فقال الشيخ: أما قول أبي حنيفة فصحيح وأما قول أصاحبه فباطل. قال: ففهموا عنّي وجاؤوا إفكاً وزوراً أني حكمت ببطلان قول الإمام.

هكذا في النسخة التي رأيتها، ولعله قول الإمامين. ثم قال: واتفقوا على ردة من لفظ بذلك وأطلقوا به فتواهم مع أن ذلك القول لو فرض صدوره من مسلم لا يترتب عليه طعن في الدين ولا إنكار ضروري من ضرورياته.

أقول: عدم الكفر بذلك ظاهر جداً، ولكنهم: (الكامل)

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضْله
فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قُلْن لوجْهها
حَسداً وبَغياً إنه لذميم

مع أنه رحمه الله تعالىٰ كان كما قيل في مثله: مقبلاً على شأنه إلا أنه

---

(1) تعليق بهامش ـ ب ـ نصه: رأيت بآخر نسخة من هذا التأليف أن فراغ تأليفه منه كان ضحى يوم الجمعة ثالث وعشرين شوال سنة سبع وأربعين وألف.

غير عارف بزمانه. وكما قيل أيضاً: (الرمل)

كـــان لا يـــدري مُـــداراة الـــورىٰ
ومُـــداراة الـــورىٰ أمـــر مُهِـــم

وقد قال الشاعر: (البسيط)

مـــا دمْـــت حيّـــاً فَـــدَارِ النـــاس كلّهـــم
فـــإنمـــا أنـــت فـــي دار المُـــدَاراة
مـــن يـــدرى درى ومـــن لـــم يـــدر يـــرىٰ
عمـــا قليـــل نـــديمـــاً للنـــدامـــات

وقال آخر: (السريع)

ودارِهـــم مـــا دُمـــت فـــي دارهـــم
وأرْضِهـــم مـــا دُمـــت فـــي أرضهـــم

ولما وقعت الواقعة عزل نفسه عن جميع الوظائف واعتزل الناس جملة حتى بنىٰ على نفسه باب داره وبقي على ذلك إلى أن توفي إلى عفو الله تعالىٰ، ولم أتحقق عام وفاته[1] وإن كان تاريخه مكتوباً على قبره الذي هو بقرب القنيطرة التي هي أمام باب عليوة لأن... (؟) تاريخ الموت قد محاه طول البلا فلا يكاد يبين.

---

(1) بهامش - ب - تعليق نصه: قوله: ولم يتحقق عام وفاته كان المصنف غفل عما ذكره حسين خوجة في ترجمة الشيخ مصطفى بن عبد الكريم من أنه تولّى تدريس اليوسفية عوضاً عن شيخه سيدي أحمد الشريف لموته في أوائل شهر ربيع الأول سنة 1061، فهو يفيد تحقيق عام وفاته. وبقاء هاته المدرسة بيد الشيخ إلى وفاته... أنه عزل نفسه عن جميع الوظائف وإن كان هذا صرح به حسين خوجة أيضاً، فالظاهر أن المدرسة مستثناة فما عزل نفسه عنها. كتبه محمد بيرم الرابع على هامش نسخته في هذا الموضوع. (راجع: ذيل بشائر أهل الإيمان: 178).

وكان بعض من له عناية بزيارة قبور الصالحين يذهب بي وأنا صغير إلى قبره فيدعو هناك ويأمرني بالدعاء ويقول لي: إن الدعاء عند هذا القبر مستجاب. وكنت أرىٰ أكثر المارّة بذلك الطريق يقف عنده ويدعو نفعنا الله ببركاته.

وقد مدحه بعض تلاميذه برجز نصه:

أحمد من أتى الكتاب أحمدا	مُعْجزة لما ادّعى وأحمدا
عـاقبـة المتبعيـن ملّتـه	النـاصحيـن دينـه وأمتـه
وأيّـد الـديـن بمـا قـد أفهمـا	العلمـاء الـرُّحمـاء وألْهمـا
فعلمـوا إذ علمـوا وصـرفـوا	أفعالهم في حمله وصرفوا
أعفّـة اعتنـائهـم للنفـع	منتصبيـن فـي مقـام الـرفـع
وخفضـوا جنـاحهـم لـلأمـة	وجـزمـوا العـلائـق الملمّـة
لنظم رسم الشرعة الحنفية	والضم مع أجزائها الرّعوفية
أمـرهـم مـن فضلـه الإلاهـي	بمـدد صحبـة عـون اللَّـه
وظفـروا بمنيـة بنيّـة	صـالحـة وبلغـوا الأمنيـة
وعبـدوه مخلصيـن فـأثـاب	كمـا دعـوه موقنيـن فـأجـاب
استخدموا في حقه الجوارح	فمـلأ القلـوب والجـوانـح
منهـم بنـوره إلـى أن خـرجـا	يعلموا على أفواههم وعرجا
حتـى أضـاؤوا طبـق الآفـاقـا	كـم غـافـل مـن نـومـه أفـاقـا
ولـم تـزل طـائفـة منهـم علـى	الحق ظاهرين أمرهم علا
بحفـظ سُنّـة وحفـظ فـرض	بكـل صقـع وبكـل أرض
ولـن يضـرهـم مخـالـف ولا	يقـدح بـاطـل إذ الحـق جـلا
وقـد لقيـت ولِـرَبّـي الحمْـد	أيـام كـان لحجـاز القصـد
فـي كـل قطـر منهـم عصـابـة	هم أولو التحقيق والإصابة

وإنني لما حللت الخضرا وقاها ربّي كل باغ ضرا
لقيت فيها العالم الصدر الجلي الرافع الهمة للمولى العلي
أحد أعلام الهدى بتونس الحنفي أحمد الأندلسي
من ليس يغشىٰ ربّه ولا يخاف لوم لائم وإن قلا
أكرم به من قرشي أنفس حمل راية التُقىٰ للمؤتسي
أبقاه ربي راقياً معظما وقد أراني للقاء بعض ما
ألفه من كتبه وصنّفا قرط آذاناً به وشنفا
لا سيما نهاية المجلي في شرحه لمنية المصلّي
فهو النهاية هو الهداية لمنته ورائم البداية
قرّره بالكشف والتنقيح وحرر المنقول في توضيح
وبلغ الغاية في الأمرين فانظر تراه مجمع البحرين
أخرج إذ بحث كنز العيني منه فأصبح قرير العين
سلك منهاج الهدى وأمّه بحفظ مذاهب الأئمة
مرتباً أصولها المستنبطة منها الفروع فهي المختلطة
دونها ذخيرة وتذكرة معونة وعمدة وتبصرة
حريّ بأهل مذهب النعمان من الجزائر إلى عمان
أن يصرفوا هِمَمهم إليه ويعقدوا خناصرا عليه
لأنه المحيط في إفصاحه بكل ما يفصح عن إيضاحه
دلّ على طول يد وباع منشؤه وسعة اطلاع
كذاك ألّف في التصريف للّه ما أحلاه من تصنيف
في لفظه المبين الفصيح خلاصة التسهيل والتوضيح
عليك يا طالب علم بهما مجتهداً فتوضح المبهما
ودع مقال من أبى أو ادّعى والحق قل أحقّ أن يتبعا
وقل لمن كابر أو قد عاندا فما لنا إلا اتباع أحمدا

ويسأل العفو من الغفار	عبيده علي الأنصاري
خادم أهل العلم والتعليم	ومرسل الصلاة والتسليم
لسيّد المعلمين أحمدا	والآل والصحب نجوم الاهتداء
ما ختمت أعمال من والاه	بقول لا إلٰه إلاّ اللّٰهِ

* * *

ويتلوه ذاك الأزهري محمد ببلدة زنزور غدا طالعاً بدرا

بعد أن عزل الشيخ الأندلسي نفسه قدم عوضه الشيخ محمد الأزهري[1] وهو الشيخ الإمام، أحد العلماء الأعلام البالغ من تحقيق العلوم على تعدد أنواعها أقصى مرام.

ولد بزنزور من عمل طرابلس الغرب، إذ كان أبوه من ترك الجند القاطنين بها. ثم هاجر في طلب العلم لمصر واعتكف بالأزهر المعمور لتحصيله أمداً طويلاً حتى نسب إليه. فأخذ عن أعلامه ومن أجلّهم الشيخ ابراهيم اللقاني[2] خاتمة محققي المالكية هناك.

ثم قدم تونس بخزانة من علم يحويها صدره، فأخذ عنه أعيان نبهائها، ومن أجلّهم الشيخ محمد قويسم[3] صاحب سمط

(1) محمد بن مصطفى الأزهري المتوفى سنة 1067 / 1656. وترجمته في: الحلل السندسية: 2/430 ـ 431 ـ ذيل بشائر أهل الإيمان: 171 ـ 172.

(2) ابراهيم اللقاني: من أبرز العلماء والمحدّثين بالأزهر. من آثاره: بهجة المحافل وأجمل الوسائل ـ جوهرة التوحيد. توفي سنة 1041 / 1631. (راجع: معجم المؤلفين: 1/2 والمصادر التي أحال عليها).

(3) فقيه ومؤرخ. ولد بتونس وبها نشأ في طلب العلم. تصدّر للتدريس زمناً. من أهم آثاره: سمط اللآل في تعريف ما بالشفا من الرجال ـ رسالة في المواقيت. توفي سنة 1114 / 1702. (الأعلام: 7/233 ـ ذيل بشائر أهل الإيمان: 195 ـ 196 ـ شجرة النور: 320 ـ عنوان الأريب: 2/6 ـ 8 ـ معجم المؤلفين: 11/154).

اللآل[1] . وكان قدومه لها أيام محمد باشا بن مراد باشا الشهير بحمودة[2] فاستقبله بمزيد الإجلال والتعظيم حتى قدّم له مرة نعله بيده، وأفرغ على كاهله سجال الإحسان فأعطاه في بعض العطايا داراً بخدمها وفروشها وضيعة ودراهم مما جمع ذلك على رخص هذه الأشياء في ذلك الوقت أربعة عشر ألف ريال بسكّته. ولا زال يوالي عليه عطاياه حتى بلغ من الغنىٰ ما فوق المنىٰ إذ ذكروا أن تركته أحصيت لوصية فيها فبلغت مائة ألف ريال مع أنه دخل تونس مُلتفّاً في عباء. والعذر له بيّن في عدّه حمودة باشا في الثلاثة التي إذا سُئل عنها يجيب بلا، وهي: هل رأيت أعلم من الشيخ ابراهيم اللقاني وأنور من جامع الزيتونة وأكرم من حمودة باشا : (البسيط)

والناس أكْيَس من أن يمْدَحوا رجلاً ... ما لم يَروا عنده آثار إحسان

وحكى الوزير[3] وحسين خوجة[4] أنه رفع إليه سؤال في ثور انفلت من يد ماسكه فدخل محلاً فيه جير فعمي فأجاب عن المسألة، استجلب[5] فيها النقل وهي غريبة الندور. ولم يذكر صورة السؤال ولا الجواب. والظاهر أن السؤال وقع عن ماسكه هل يضمنه لربه.

وعندي أن هذا ليس مما يُمدح به مثله على تقدير جلب النص في عين النازلة ولا أظنه كائناً وإنما هو إن كان ولا بد في جنسها المندرجة هي

---

(1) قال حسين خوجة: «وأتى فيه بعجب العجائب وأبدع فيه غاية الإبداع، محشو بالأحاديث الشريفة والسير النبوية وتراجم الصحابة والتابعين وسائر الأعيان المحدّثين وفقهاء الأمصار والشعراء إلى غير ذلك. ومكث في تصنيفه أربع عشرة سنة».
(ذيل البشائر: 196). والكتاب مخطوط في عدة أجزاء بدار الكتب الوطنية بتونس.

(2) تولى حمودة باشا حكم البلاد بعد وفاة أبيه مراد باي سنة 1041 / 1632 وتواصل إلى سنة 1076 / 1664.

(3) الحلل السندسية: 431/2.

(4) ذيل البشائر: 172.

(5) في النسختين: جلب. وأثبتنا ما وجدناه بالمصدرين اللذين نقل منهما المؤلف.

تحته من الدابة المنفلته إذ كون جناية تلك الدابة المنقطع نسبتها للماسك بالانفلات قهراً عليه على نفسها أو غيرها ليس لها اعتبار لأنها من جناية العجماء التي هي جبار مسطور في جميع الأسفار.

وكانت وفاة الشيخ أيام محمد باشا في التاسع عشر من صفر الخير[1] عام سبع وستين وألف ودُفن بزاوية الأستاذ سيدي أحمد بن عروس.

* * *

ويقفوه ذاك العالم الفذّ مصطفى به والد عبد الكريم حوىٰ الذكرا

هذا الشيخ[2] هو عين الأعيان الذي لم يختلف في تفرّده بتحقيق العلوم اثنان.

ولد أبوه عبد الكريم[3] ببنزرت، وتعاطى العلم. فشارك في الفقه وغيره. وكان يستحضر كتب الصرف الخمسة الشهيرة عند الأعجام. ولي خطبة جامع القصبة[4] وتوفي بتونس ودفن بالسلسلة[5] تحت صومعة الجامع المذكور.

وولد ابنه الشيخ مصطفى عام ثمانية وعشرين وألف في أيام يوسف داي. فقرأ العلم أولاً على والده. ثم أخذ عن الشيخ أحمد لفلوف[6]

---

(1) انفردت بها ـ ح ـ.

(2) ترجمته في: الحلل السندسية: 2/570 وما بعدها ـ ذيل بشائر: 177 ـ 179.

(3) راجع: ذيل البشائر: 178.

(4) حول جامع القصبة، راجع: تاريخ معالم التوحيد: 157 وما بعدها.

(5) أي: مقبرة السلسلة وهي من أقدم مقابر مدينة تونس وكانت تمتد بين القصبة وباب الجديد. (راجع: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي: 250).

(6) من فقهاء المالكية. له مشاركة في عدة علوم. تخرّج به خلق من علماء زمانه. (ذيل البشائر: 192).

والمسند البركة سيدي أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا، وعمدته في الفقه سيدي أحمد الشريف الحنفي. ولاحت عليه لوائح النجابة وتنسّمت منه نفحات الإصابة حتى كان شيخه هذا يعبّر عنه بجوهرة المعقول. ولم يزل فضله يزداد وذكاؤه يخرق المعتاد حتى صار رئيس زمانه والمقدّم على أقرانه. وسلم له تحقيق المعقول والمنقول والتقدم في الفروع والأصول. وتزاحم الناس في الأخذ عنه وتفاخروا بالتلقي منه من طائفتي الحنفية والمالكية، فمن الأولىٰ شيخ الإسلام أبو الحسن علي الصوفي الآتي ذكره، وصهره البارع المحقق أبو عبد الله محمد بن محجوبة[1] . وكان يوم عقد الشيخ له على بنته يوماً مشهوداً هرعت إليه أهل البلد على طبقاتهم حتى حضرة محمد باشا في أهل الديوان بأسرهم، وكان ذلك يوم الجمعة، فخطب الشيخ خطبة تتعلق بفضل النكاح، ومن الطائفة الثانية الشيخ أبو الحسن علي سويسي[2] قرأ عليه تسهيل ابن مالك، وأبو عبدالله محمد الخضراوي[3] .

وكان الشيخ المترجَم له وَلوعاً بكتب الأعاجم فأقرأ في النحو منها الجامي على الكافية[4] وفي الفقه صدر

(1) حلاّه حسين خوجه بقوله: حاوي الفضائل. كان أبوه رومياً فأسلم. واجتهد في طلب العلم. توفي سنة 1117 / 1705. (الحلل السندسية: 2/701 ـ 702 ـ ذيل بشائر: 182 ـ 183).

(2) ولد سنة 1079 / 1669 وتوفي سنة 1146 / 1733 وترجمته في: الحلل السندسية: 2/348 ـ 350 ـ ذيل بشائر: 239 ـ 240 ـ شجرة النور: 326).

(3) ولد سنة 1087 / 1677. عالم في المعقول والمنقول. أخذ عن سعيد الشريف ومحمد الغماد وقاسم الغماري وغيرهم. توفي سنة 1144 / 1731.
(الحلل السندسية: 3/141 ـ 144 ـ ذيل بشائر: 234 ـ 235 ـ شجرة النور: 325 ـ 326 ـ الشهب المخرقة: 183 ـ عنوان الأريب: 2/11 ـ 14).

(4) يعرف هذا الشرح «بالفوائد الضيائية» وهو لنور الدين عبد الرحمن بن أحمد نور الدين الجامي المتوفى سنة 898 / 1492. (كشف الظنون: 1/1372 ـ هدية العارفين: 1/534).

الشريعة[1] وإيضاح الإصلاح لابن كمال باشا[2] والدرر[3] كثيراً، وأقرأ في الحديث البخاري دراية بشرح العيني[4] بجامع يوسف داي حين ولي إمامته وروايته، وكان يترجمه بالتركية إذ كانت له فيها يد طولىٰ.

وولي أيضاً مشيخة اليوسفية وخطبة الجامع اليوسفي حين ولي الفتوىٰ بعد موت الشيخ الأزهري[5]. وكان لا يفتي إلا كتابة ولا يجيب إلاّ عن تحقيق. قالوا: وربما يمكث في المسألة سنة حتى ينساها صاحبها، فإذا انفصل فيها على ما ينبغي أجاب عنها. وقد قالوا أنه إذا طالع لا يجاري وإلا لم يأت بشيء.

واعترضته بعد هذا طوارق المحن والهموم بقدر الهمم. عزله قاره كوز[6] عن الفتوى التي كان أحق بها وأهلها سنة خمس وسبعين وألف وأولىٰ فيها وفي خطبة الجامع اليوسفي الشيخ يوسف درغوث الأكبر مع أنه لا يبلغ في العلْم مدّه ولا نصيفه، ونقل هو للجامع

(1) لعل المقصود كتاب: تلقيح العقود في الفروق بين أهل النقول وهو في فروع الفقه الحنفي الذي ألّفه أحمد بن عبيدالله بن ابراهيم المحبوبي النيسابوري المعروف بصدر الشريعة المتوفى سنة 630 / 1232. (راجع: معجم المؤلفين: 1/308).

(2) وهو شرح لكتاب إصلاح الوقاية لشمس الدين أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفى سنة 940 / 1533. (كشف الظنون: 1/109 ـ معجم المؤلفين: 1/238).

(3) درر البحار الزاخرة، وهي منظومة في الفروع نظمها عبد الرحيم بن محمود العيني الحنفي المتوفى سنة 864 / 1459. (كشف الظنون: 1/746).

(4) وهو من الشروح المشهورة كما ذكر حاجي خليفة. وهو شرح كبير في عشرة أجزاء. ويسمى هذا الشرح: عمدة القارىء. (كشف الظنون: 1/548).

(5) تعليق بهامش ـ ب ـ نصه: وقوله: وخطبة الجامع اليوسفي حين ولي الفتوى بعد موت شيخه الأزهري، هذه المسألة تدل على أن الأزهري تولّى تلك الخطبة.

(6) هو الداي الحاج مصطفى قاره كوز الذي تولى الحكم بعد وفاة الحاج مصطفى لاز سنة 1075 / 1665. (راجع أخباره في: الحلل السندسية: 2/420 وما بعدها ـ ذيل بشائر: 96).

الباشي[1] إماماً وخطيباً ومدرّساً. وبقي معزولاً من الفتوىٰ نحو ثلاثين سنة حتى تقدم عليه فيها تلميذه الشيخ عبد الكبير درغوث بعد موت والده الشيخ يوسف مع أنه كان دون والده الذي هو دونه.

ثم كان عاقبة أمره أن قُتل، قتله ذلك الشقي طاطار[2] داي محمد المتولي من قبل محمد بن شكر صهر محمد باي حين أَخْذِ البلاد منه بمحلة الجزيريين سنة ست ومائة وألف، فيكون قد بلغ من العمر ثمانية وسبعين سنة.

وسبب قتله على ما قيل أن ذلك الداي لما أكثر من قتل النفوس، يقال أنه قتل في مدته التي هي دون العام ثمانمائة نفس، وكان قد ورد على الحضرة العلية قبجي باشا فذهب إليه الشيخ ليلاً وحمله شكاية للسلطان من جور طاطار، فلما بلغه ذلك خنقه وألقاه في بئر، ولما أخرج منها حين رجعت البلاد عن قرب لمحمد باي وجد على حاله وحبله في عنقه لم يتغير منه شيء سوى خدش أصابه من حجر في البئر حين أُلقي فيها ودُفن جوار سيدي الجلاّز[3].

وقد ابتلاه الله تعالىٰ بأشرّ الدايات قاره كوز وطاطار، إلا أنهما

---

(1) بناه حمودة باشا، وقد أقيمت أول جمعة بهذا الجامع في شهر رمضان سنة 1066 / 1655، وكان أول خطيب به الشيخ محمد الأزهري المذكور. (راجع: تاريخ معالم التوحيد: 181).

(2) تولى حكم البلاد سنة 1105 / 1694. يقول حسين خوجة: قتل من النفوس ظلماً أناساً كثيرة، وتجاوز ظلمه حتى فتك بالعلامة الشيخ مصطفى بن عبد الكريم مفتي الحنفية...».

(راجع: الحلل السندسية: 2/577 وما بعدها ـ ذيل بشائر: 105).

(3) هو الشيخ محمد الجلاز القيرواني. استوطن مدينة تونس. وحبّس مقبرته المشهورة على جماعة المسلمين. (انظر: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي: 248 ـ 249).

عوجلا بعقوبة كانت من جنس العمل: عزله الأول فقبْل الحوْل عُزل، وقتله الثاني فلنحو ثلاثة أشهر من قتله إياه قُتل.

* * *

ويوسف درغوث ويتلوه فرعه كبير ولمّا أن حوى بعده الأمرا
أُضيف له ثان أبو الحسن الرضىٰ عليّ هو الصوفي فاقترنا ذكرا

تضمن البيتان ثلاثة من المفتين وهم: الشيخ يوسف درغوث الأكبر وابنه الشيخ عبد الكبير والشيخ علي الصوفي.

أما الشيخ يوسف درغوث[1] فكانت له ملكة وسطىٰ في الفقه وكاملة في الميقات. أخذ الفقه عن الشيخ محمد بن شعبان[2] إمام الجامع اليوسفي كان المتوفَّى سنة سبع وتسعين وألف دفن بزاوية الأستاذ سيدي علي بن زياد على يمين الداخل. وحين تخلّى عن القضاء الشيخ الإمام قاره خوجة[3] وهو جدّ الشيخ أحمد بزنار[4] صاحب الشهب احتيج إلى من

---

(1) ترجمته في: الحلل السندسية: 2/466 ـ 468 ـ ذيل بشائر: 181.

(2) ولد بتونس سنة 1020 / 1612 وتفقه بها على علمائها كتاج العارفين البكري وأحمد الشريف. وأخذ بالأزهر عن الشيخ ابراهيم اللقاني.
(ترجمته في الحلل السندسية: 2/526 ـ 529 ـ ذيل بشائر: 174 ـ 177 ـ المؤنس: 316).
وقد ورد تعليق بهامش النسخة ـ ب ـ نصه: حدثني والدي عن شيخه أبي الحسن علي سويسي قال: كنت أقرأ على الشيخ مصطفى بن عبد الكريم في باب الإضافة من التسهيل باليوسفية، فدخل على الشيخ من أخبره بموت الشيخ محمد بن شعبان هذا، فاسترجع ثم قال: مات رحمه الله ولم يعرف بين المضاف والمضاف إليه.

(3) محمد برناز الشهير بقارة خوجة. ولد سنة 1012 / 1604. فقيه نحوي وعروضي. درّس بالمدرسة الشماعية وبمقام الشيخ علي بن زياد. توفي سنة 1084 / 1673. (الحلل السندسية: 2/400 ـ 406 ـ ذيل بشائر: 172 ـ 174).

(4) أحمد بن مصطفى برناز. ولد بتونس سنة 1074 / 1663. درس على علماء تونس. ثم دخل مصر عند توجهه إلى الحج فجالس علماءها. من آثارها: الشهب المخرقة فيمن=

يباشره نيابة حتى يقدم المولّى من قبل الدولة فقدم الشيخ يوسف هذا ثم أولاه قاره كوز الفتوى بعد عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم في التاريخ المتقدم أعني سنة خمس وسبعين وألف، فكان ذلك مبدأ دخول الفتوىٰ لبيت الدرغوثيين لا كما تزعمه العامة على ما كنا نسمع منهم من أنها بأيديهم منذ دخل الترك، ولا أدري من أين سرى لهم هذا الوهم مع بعد ما بين الدخوليين فإنه أربعة وتسعون سنة.

وكان مع الشيخ من مفتي المالكية الشيخ أبو الفضل المصراتي[1] فلما توفي في عام خمس وثمانين صار رفيقه من ولي بعده وهو الشيخ العلامة القدوة أبو عبدالله محمد فتاتة[2] الذي أولاه مراد باي بن حمودة باشا بعد إباء الشيخ عليه واستعطافه في إعفائه بالقصيدة الغرّاء التي يقول فيها: (الكامل)

قَسَماً بنور جمال طلْعتك التي | تروي بشاشتها ظمأ المرتاد
لمهامه الأمر الذي ادعى له | فيح يبيد رواحلي وجيادي

وكتب تحتها: إجازتي إقالتي. وجمع الأمير له الديوان بعد ذلك وقوله له بمحضرهم: إن امتنعت بعد هذا كنت معرضاً لهذا عن هذا، فوليها بهذا العزّ العظيم.

ولم يزل الشيخان المفتيان درغوث وفتاتة على وظيفتهما إلى أن

= ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة ـ كتاب إعلام الأعيان بتخفيفات الشرع عن العبيد والصبيان. توفي سنة 1138 / 1726. (ذيل بشائر: 230 ـ 234).

(1) توفي سنة 1085 / 1675. (ذيل بشائر: 186 ـ 187 ـ شجرة النور: 306).

(2) فقيه نحوي وأديب. أخذ عن تاج العارفين البكري وأبي الفضل المصراطي ومحمد براو وغيرهم. توفي سنة 1115 / 1704.
(الحلل السندسية: 2/684 ـ 685 ـ ذيل بشائر: 198 ـ 199 ـ شجرة النور: 320 ـ الشهب المخرقة: 153 وما بعدها ـ عنوان الأريب: (2/ 4 ـ 5).

دخلت سنة ثمان وثمانين ونار الفتنة متأججة بين الأخوين محمد وعلي ابني مراد بن حمودة باشا والبلد يومئذ بيد علي، وكان للشيخين ميل إليه، فتأدت لهما المحنة بسببه وذلك أن علياً لما خرج من البلد للقاء أخيه وتركها لنظر دايِه محمد طاباق[1] خالفه أخوه محمد إليها فأحرق أبوابها واقتحمها على الداي عنوة، وانحاز الداي بعدد جمّ من العسكر إلى القصبة فأغلق بابها وحاصر بها، وتصرف محمد باي في البلد وجالت يده في المنتسبين لأخيه فقبض على الشيخين المذكورين واعتقلهما بمحلته المنصوبة بالجبل الأخضر خارج البلد، فلما جنّ الليل وأحسّ الشيخ فتاتة بالشرّ تكلم مع رفيقه في الفرار فلم يوافقه عليه لأمر قد قدر، فعزم الشيخ فتاتة عليه وسهله له قرب المسافة، فأخذ إبريقاً وخرج من خباء اعتقالهما برسْم قضاء الحاجة وستره ظلام الليل فخلص إلى البلد واختفى بدار الشيخ سيدي سعيد الشريف[2] . ولما صدع الفجر أرسل محمد باي في قتلهما. فأما الشيخ فتاتة فوجدوه قد فاتهم بالفرار، وأما الشيخ درغوث فنفّذ القضاء فيه فقتل خنقاً رحمة الله تعالى عليه.

وأما ابنه الشيخ عبد الكبير[3] فكان يقصر عن شأو أبيه لأنه تقلد الفتيا بعده قبل التحصيل وذلك أن محمد باي ندم على فتكه بالشيخ يوسف ولات حين ندم وقد سبق السيف العذل، فأراد ترقيع ما خرق بتولية ابنه وظائفه فأرسل إليه في ذلك فأبى عليه إباءًا شديداً لما هو واجد عليه في

(1) راجع أخباره في: الحلل: 2/461 وما بعدها ـ ذيل بشائر: 99 ـ 101.

(2) أبو عثمان سعيد الشريف الطرابلسي. قدم إلى تونس وأخذ عن أعلامها كالشيخ فتاتة والشيخ محمد الغماد وغيرهما. توفي سنة 1112 / 1701.
(الحلل السندسية: 2/650 ـ 660 ـ ذيل بشائر: 196 ـ 198 ـ شجرة النور: 319 ـ الشهب المخرقة: 150 وما بعدها).

(3) ترجمته في: الحلل السندسية: 3/291 ـ 294 ـ ذيل بشائر: 218 ـ 220.

نفسه من فعلته وأظهر له التعلل بقصوره وعدم أهليته، فما زال به نحو شهر في تكرار المراودة بنفسه وأتباعه حتى أجاب واجتهد معه الشيخ فتاتة بعد تأمين محمد باي له وعوده لمرتبته في تدريبه وتخريجه رعاية لصحبة والده.

حكى لي حفيد الشيخ عبد الكريم للبنت وهو أحمد اللونقو أن الناس كانوا لعلمهم بقصور الشيخ عبد الكبير لا يأتونه للاستفتاء بل ذهب حنفيُّهم كَمَالِكِيهم للشيخ فتاتة فكان إذا أتاه حنفي يسمع منه نازلته ثم يقول له: ما لك لا تذهب لمفتيكم؟ إذهب إليه، ويرسل إليه في الحين بطاقة مضمونها: ترد عليك مسألة كذا وجوابها كذا، حتى تخرج. قال: وجمعنا بعد موته قفافاً ببطاقات الشيخ فتاتة.

قلت: ولا يخفى قصور الملكة الحاصلة بطريق البطائق لا سيما والشيخ فتاتة مالكي المذهب لا دراية له بمذهب أبي حنيفة إذ لم يبلغنا أنه أخذه عن شيخ، والرجل كان من العلم والدِّين على جانب عظيم، وذلك يمنعه من الاعتماد في الإفتاء على مذهب بما تعطيه ظواهر عبارات كتبه، فالظاهر أن ما يكتب في البطائق إنما هو جواب المسألة على مقتضىٰ المذهب المالكي، فتخريجه بها إن كان إنما هو في ذلك المذهب، وأين تخريجه في مذهب أبي حنيفة الذي هو بصدده؟ نعم، قد كان أخذ طرفاً من الفقه الحنفي على الشيخين مصطفى بن عبد الكريم ومحمد بن شعبان فامتزجت له ملكة من الطرف الحنفي المأخوذ عن الشيخين.

والبطائق المالكية التي كان يكتبها له الشيخ فتاتة وإياها عنى الوزير في تاريخه إياه بـ: «كان يدري المذهبين»، على ما سيأتي.

وقد نسب له الوزير تقريظاً لسمط اللآل نصه[1] :

---

(1) الحلل السندسية: 2/681 ـ 682.

«نحمدك اللهم يا من أنطق الألسن بنفائس السحر الحلال والأنامل ببدائع يواقيت المقال، فأصبح روض المحاسن[1] في ميدان البهاء زهراً، ودُجى المعالي لفتوحات أنوارها ناظراً، ونصلّي ونسلّم على سيدنا محمد نقطة دائرة الوجود، وشفيع العصاة[2] في اليوم الموعود، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد نزهت نظري في ساحة من رياض هذا التأليف البديع، وأجْريْت طرفي في بيداء ما أبداه المؤلف من حسن هذا الصنيع، فألفيته فائزاً بالتقدم في حلبة التأليف، وحائزاً قصب السبق باشتماله على الترصيع والترصيف، مسحوباً بلطائف تمتد إليه أعناق ذوي الهمم من كل جانب، وترنو إليها أحداق ذوي المشارق والمغارب، فالحق حقّ أن يتّبع ويقال، لم ينسج في زماننا على هذا المنوال، فللّه درّ مؤلّفه حيث جَمع فأوعى، وأتى بما يعجز عن جمعه القوي فجاء الغاية القصوى، وعلى جلّ العلوم قد احتوى، فهو علامة زمانه، ولوْذَعيّ أوانه، الجهبذ الفريد، والمحقق المفيد، الشيخ الفاضل، والنحرير الكامل، أبو عبدالله الشيخ محمد قويسم، أدام الله النفع بعلومه، وسقى رياض المعارف من صيّب فهومه، إنه عليّ قدير وبالإجابة جدير»[3].

وقد قرظ هذا التقريظ الشيخ زيتونة[4] بقوله:

---

(1) في النسخ المخطوطة بإضافة: لوابلها الهتان.
(2) في الحلل: العرصات، وما أثبتناه فهو عن النسخ المخطوطة وهو يتماشىٰ والسياق.
(3) ذكر السراج أن هذا التقريظ كتب سنة 1104 / 1706. (الحلل السندسية: 682/2).
(4) الشيخ أبو عبدالله محمد زيتونة. ولد بالمنستير سنة 1081 / 1671 عالمها وشاعرها ومفتيها. تفقه بالقيروان على الشيخ محمد عظوم. ثم رحل إلى تونس فأخذ عن أعلامها. وفي طريقه إلى الحج جالس علماء مصر كالشيخ محمد الزرقاني وأحمد المنوفي. من مؤلفاته: شروح لبعض متون الفقه والنحو. توفي سنة 1138 / 1726. =

هذه بنات أفكار، وعرائس أبكار، ونفائس سجع برزت من وراء أستار، جالسة على منابر العز متنافسة، سائرة بين أغصان الرياض متمايسة، مرتضعة من ثدي الأدب رحيق الزلال، منبهة على عظيم مقدار سمط اللآل، سالكة منه مسلك الإجازة، فيها زبرة التأليف وأجازه: (الخفيف)

نمّقتها يد المحاسن فضلاً	من همام موضّح المشكلات
صادع بالدليل في كل خطب	ناصر الحق قدوة الأثبات
شيخ الإسلام جامع لعلوم	واسع الصدر فاتح المعضلات
كاشف الكرب راحم لفقير	رافع القدر دافع المذهلات
من أتاه يروم فك عقال	من مهمّ لبّاه بالإثبات
شكر الله سعْيه وحَباه	حين يلقاه روضة الجنات

علم أرجاء البسيطة التونسية ومفتي الديار الإفريقية المنفرد بين أهل عصره في العلوم العقلية والفقهية بالرئاستين المالكية والحنفية سيدنا الهمام، ومولانا العلاّمة الإمام، المتصدّي لأجوبة النوازل تصدّي الأسد الليوث أبي عبدالله محمد المشتهر بالكبير في طاعة مولانا الكبير، ونصرة شرع السراج المنير ابن العلَم الأكبر، ورئيس الفتيا الأشهر، محررج الدلائل، ومقرّب المسائل، وموضّح المشكلات لكل سائل، المرحوم بكرم الله سيدي يوسف درغوث رحم الله السلف، وأدام ذكرهم بالخلف». انتهىٰ.

وكما قرظ ذلك الكتاب الشيخ درغوث قرظه رفيقه الشيخ فتاتة حيث قال:

«إن أحسن كلام يفتتح به المقال، وأيمن ذكر يصدر به كل أمر ذي

= (ذيل بشائر: 224 ـ 230 ـ شجرة النور: 324 ـ 325 ـ الشهب المخرقة: 185 ـ 186 ـ عنوان الأريب: 2/9 ـ 11).

بال، حمد الله الملك المتعال، وثناء ذي العزة والجلال، الذي أبدع الكائنات بقدرته الظاهرة، واخترع المصنوعات بحسب إرادته الباهرة، والصلاة والسلام على صاحب الرسالة العامة والنبوّة التامة، المبعوث بالآيات القاطعة، المؤيد بالمعجزات الباهرة الساطعة، وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار وبعد[1] : فقد وقفت[2] على ما تيسّر من هذا المجموع القريب، والأنموذج المُونِق العجيب، جمْع صاحبنا وأخينا في الله تعالى الشيخ الفقيه الأفضل العلامة الزكي الأكمل أبي عبدالله محمد ويعرف بقويسم ضاعف الله لي وله الحسنات وغفر لي وله الخطايا[3] والسيئات بمنّه[4]، فألفيته روضاً أينعت ثماره، وعبقت بأريج المسك أزهاره، فاشتمل على مباحث أثارت الأدلة الواضحة من أماكنها، فقنصت أوابد نقولها[5] من غوامض مكامنها، فأحسنْ به مجموعاً قد أشرقت معانيه، وعلت على الفلك الأعلى مبانيه، فلله درّ ناظم عقوده، وراقم بنوده، فلقد ضمنه من ملح المسائل وقواطع الدلائل ما تقرّ به عين أولي الألباب[6] : (السريع)

للّـــه مجمـــوع سمـــا رُتْبَـــة	على السّهى والأنجم الزهر
حوى حلى أهل النهى والتقى	والأدب البـــارع والفخـــر
كـــأنّـــه فـــي حسنـــه روضـــة	حفّـــت بـــأنـــواع مـــن الـــزّهـــر

---

(1) بداية من: فقد وقفت... إلى آخر التقريظ، ورد في: الحلل السندسية: 2/679 ـ 680.

(2) الحلل: وقعت.

(3) الحلل: الخطيئات.

(4) الحلل: بإضافة: وكرمه.

(5) الحلل: توأمها.

(6) أضاف السراج في الحلل: ومن نوادر الأخبار ورقائق الأشعار ما يستظفر به أولو الألباب، فلا زال في ملك الفضائل بدراً منيراً، وفي سماء العلىٰ نوراً شهيراً.

نظـــرت فـــي آدابـــه نظـــرة　　فانمحت الأشجان من صدري
وعاد لي أُنْسي الذي كان لي　　مصاحباً في سالف الدّهر
سمـت ومـا نلـت لـه غـايـة　　وهل ينال الكوكب الدرّي؟
مـا وقعـت عينـي علـى مثلـه　　قـط وهـذا غـايـة الأمـر

وكما قرظ الشيخ زيتونة التقريظ السابق، قرظ هذا بقوله: (الوافر)

تـدبّـر مـا أفـادَكـه الجنـان　　وحـرره بـذا الطـرس البنـان
وسيـره بـرجـز الأفـق بـدرا　　إليه صبا على الرغم البيان
فـأصبـح طـالعـاً فجـراً منيـراً　　بروضة مجده الحور الحسان
لـذهـن مـن إمـام سـاد علمـاً　　بـه فينـا قـد انتشـر الأمـان
وأبـرز حسـن تحـريـر ونقـل　　بـدرس كـان يشهـده العيـان
فكم من مشكلات حلّ فينا　　ومعضلـة نـأى عنهـا اللسـان
ونـازلـة أتـاح لهـا جـوابـاً　　بتحقيـق الـدليـل لهـا يـدان
ومـن يـأتيـه يشكـو ضـرّ دهـر　　وهـوْل شـدائـد فـوراً يُعـان
فيـا للّـه أيـام تقضّـت　　بحضرته وقد سعد الزمان
وقـد صـارت كـأحـلام بنـوم　　وراحـت والفـؤاد لهـا رهـان
شربنا من فصاحته كؤوساً　　مـن الآداب هيّـأهـا الـدنـان
وعـرفنـا حقيقـة كـل علـم　　إذ يثنـى لسـاحتـه العنـان
وخلـف فـانيـاً وغـدَا لـدار　　بهـا يبقـى بمسكنـه الجنـان

من رقائق زينت سطوراً، ودقائق جملت سجعاً وشطوراً، وعرائس أبكار تاهت جمالاً، وغوارس رياض أفكار سقتها من رحيق كؤوس البلاغة زلالاً، نمّقتها يد إمام برع في عصره بلاغة وفصاحة، وبلغ من التحرير رقة وسماحة، فاعتلى من التحقيق أعلى مقام، واغتذى من ثدي التدقيق فطابق بين مقتضى الحال والمقام، واحتوى من كل فن على مُهِمه وجمع شتاته،

شيخنا وسيدنا ومولانا المرحوم بكرم الله أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن فتاتة جمّل الله بنور فسيح رياض ضريحه بملابس الرضوان، وشمل كريم سعادته بمسيره على أحسن حال إلى جنة رضوان، وجمع له بين شهود جماله وجلاله، وأسكنه أعلى الفراديس مع مصطفاه وآله، صلّىٰ عليه وعليهم أجمعين، ما تبسّم محبوب، وتهلّل وجهه لمحبّه، وفاز عبد من الله بمزيد رضاه وقربه.

ولم يزل الشيخ عبد الكبير منفرداً بفتوى الحنفية من تاريخ ولايته الذي هو عام ثمانية وثمانين إلى أن جاءت دولة مراد باي بن علي بن مراد بن حمودة باشا بن مراد التي كان بدؤها في شهر رمضان من عام عشرة بعد مائة وألف، فعزله عنها وعن تابعتها خطبة الجامع اليوسفي وأولىٰ فيهما الشيخ أبا الحسن علي الصوفي[1] ثم أعاده إليهما وأبقى الشيخ الصوفي معه على الفتوى على أن الأول لسبقه فيها بالزمان هو المفتي الأكبر والثاني له ثان. واستمر العمل على ذلك إلى الآن وربما يزاد ثالث في بعض الأحيان[2].

---

(1) تعليق بهامش ـ ب ـ نصه: قوله: وأولى فيهما أنه صريح في تولية الشيخ علي الصوفي خطيباً بالجامع اليوسفي. ورأيت في رحلة الشيخ شمس الدين: ولي إمامة جامع محمد باي وخطبة الجامع الباشي.

ولقد كان الشيخ شمس الدين من خلطاء الشيخ الصوفي فلا. . . فيما نسبه إليه من الوظائف لقول حفيد المصنف: وربما زيد رابع وخامس في هاته المدة التي هي حدود السنتين بعد المائتين والألف.

(2) تعليق بهامش ـ ح ـ: والآن قد صاروا أربعة وهم: العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع حفيد مؤلف هذا الشرح وثانيهم الشيخ محمد بن الخوجة، وثالثهم العالم الشيخ سيدي حسن البارودي ورابعهم الشيخ الورع سيدي علي الدرويش رحمه الله. وفي سادس محرم سنة 1262 ولي معهم ثالثاً في السبقية الشيخ العلامة سيدي أحمد الأبّي رحمه الله فصاروا الآن خمساً من المفتين.

وسبب عزله على ما أخبرني به حفيده المذكور أن رمضان باي بن مراد الثاني استشعر من ابن أخيه مراد الثالث هذا خلافه عليه أحضره بين يديه وأحضر الشيخ عبد الكبير درغوث أولاً واستفتاه في قتله بمرأى منه ومسمع فوجم لذلك الشيخ درغوث أولاً ثم قال: هذه قضية مهمة فلا بد أن تشرك معي أحداً فيها، فقال له الأمير: ومن هو؟ فقال: الشيخ علي الصوفي، فأرسل إليه، ولم يزل المجلس على حاله حتى أتى الرسول بالشيخ من تونس، فأُعيد عليه السؤال، فأراد الخوض مع الشيخ درغوث في المسألة، فسكت عنه مطرقاً إلى الأرض وأسلمه، كما قال الشيخ الصوفي، إلى البلاء، فلما رأى أنه لا يسعه إلاّ الجواب قال: أما القتل فلا ولكن اسجنه، فأُقيم من المجلس إلى السجن. فلما انتقلت له الدولة بقيامه على عمه رمضان وقتله إياه في التاريخ[1] توقفه في المسألة وقال: تركتني تلك المدة أعالج سكرات الموت وهلا أجبْت أولاً بما أجاب به الشيخ الصوفي آخراً وأرحتني. فهذا سبب عزله.

وأما سبب عوده فهو أن مراد باي كان له ميل للشيخ عبد الكبير لكون والده الشيخ يوسف كان من شيعة أبيه علي وقد قتل بسببه مع أن قاتله وهو عمه محمد من أكبر أعدائه حتى أنه أخرجه من قبره ورمى رِمّته بالرصاص ومنع الصلاة في جامعه وأغلقه فلم يفتح أصلاً مدة دولته كلها ولم يراقب في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[2] وانضاف إلى ذلك أن الشيخ الصوفي قال له[3]: أنا لا أستطيع القيام بالفتوى إلا بمعونة الشيخ عبد الكبير، فأعيد إليها على الوجه المتقدم.

---

(1) كان ذلك سنة 1110 / 1699.

(2) سورة البقرة، الآية 114.

(3) أي: لمراد باي.

وبقي الشيخ عبد الكبير ملحوظاً بالإجلال والتكبير، محبباً لصغير من أهل البلد والكبير لما كان عليه من محاسن الأخلاق والسعي بين الناس بالصلح القاطع للشقاق حتى توفي إلى رحمة الملك الخلاق سنة 1133 ثلاث وثلاثين ومائة وألف[1] بعد أن أقام في الفتيا نحو خمس وأربعين سنة. وكتب على ضريحه من إنشاء الوزير[2]: (مجزوء الرمل)

ذا ضـريـح ضـمّ كنـزاً	بعلــــوم الثقليـــن
كــان فــي الفتيــا كبيــراً	كــاسْمـه فـي الخـافقيـن
لقّبــوه درغـــوثـــاً	صــدقـوا مـن غيـر مَيْـن
مــدّ مــن نهْـر الفتـاوى	للــورى نضّــاختيـن
حــلّ فــي جنــة عــدن	فجنــى مــن جنّتيــن[3]
فــاسـأل المـولـى لـديـه	بخضــوع الــراحتيـن
علّــلا مــن نهْــر عفــو	ونعيــم خــالــديـن[4]
إن مـــن قـــد أرّخـــوه	كــان يـدري المـذهبيـن

وأما الشيخ علي الصوفي[5] فهو شيخ الشيوخ وأستاذ الأعلام من أولي الرسوخ. كان واحد عصره علماً وفضلاً وزُهداً ونُبلاً. وُلد سنة ثمان

---

(1) الموافق لسنة 1721 م.

(2) الحلل السندسية: 3/294.

(3) في النسخ المخطوطة:

حــلّ فــي جنــة عــدن   ونعيــم خــالــديـن

فأثبتنا ما ورد عند السراج في الحلل.

(4) في النسخ المخطوطة:

علــلا مــن نهــر عفــو   وجنــىٰ مــن جنّتيــن

فأثبتنا ما ورد في الحلل.

(5) ترجمته في: ذيل بشائر: 221 ـ 223 ـ المؤنس: 316.

وخمسين وألف[1] في أيام الحاج محمد لاز من الدايات وحمودة باشا من البايات. وأخذ العلم عن أعلام ذلك العصر كالمسند البركة أبي العباس سيدي أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا وشيوخ الإسلام الثلاثة أبي النخبة مصطفى بن عبد الكريم وأبي عبدالله محمد فتاتة وأبي المحاسن يوسف درغوث الأكبر وحافظ العصر أبي عبدالله محمد قويسم والعلم المشهور أبي اسحاق ابراهيم الأندلسي والفاضل البارع عاشور القسنطيني[2] والعلامة المحقق أبي عبدالله محمد الغماد[3] والشيخ الأجل سيدي سعيد الشريف، أخذ عنه مختصر الشيخ خليل.

فكان أحق بالوصف بدراية المذهبين.

وأخذ عنه من أعيانها جماعة كابنه العلامة عبد الكبير وشيخ الجماعة أبي الحسن علي سويسي قرأ عليه مختصر السعد على التلخيص[4]، وعلّامة القطر الإفريقي في وقته أبي عبدالله محمد الخضراوي وهما من المالكية والشيخ المفتي أبي المحاسن يوسف درغوث الأصغر وأبي

---

(1) الموافق لسنة 1648 م.

(2) ترجمته في: ذيل بشائر: 191 ـ شجرة النور: 310.
وفي النسخة ـ أ ـ تعليق نصه: هذا الشيخ عاشور ذكره الشيخ العياشي في رحلته فقال عند ذكره دخول ركب أهل تونس عليه في طرابلس: وجاء معهم الشيخ العلامة الفقيه المشارك سيدي عاشور القسنطيني. وقد لقيته وتبرّكت به واستجزته لنفسي ولمن ذكر في الاستدعاء من الإخوان، وأجاز لي ولهم لفظاً واعتذر بضيق الوقت لقرب السفر. وهو يروي عن سيدي محمد التواتي، عن سيدي عبد القادر بن خدة، عن الشيخ السنوسي، عن المنجور وأيضاً عن سيدي سالم القناوسي، عن الشيخ سالم السنهوري.

(3) توفي سنة 1115 / 1703 وترجمته في: الحلل السندسية: 2/698 ـ 700 ـ شجرة النور: 320.

(4) هو مختصر لكتاب تلخيص الجامع الكبير في الفروع لمحمد بن عباد الخلاطي الحنفي المتوفى سنة 652 / 1254 والمختصر لسعد الدين التفتازاني. (كشف الظنون: 472/1).

العباس أحمد برناز وأبي النخبة مصطفى الأزمرلي[1] وغيرهم.

وكان رجلاً خيّراً رقيق القلب محبّاً للفقراء يعقد بهم الميعاد عشية كل جمعة بزاوية سيدي عياد الزيات[2] ويقرأ لهم تنبيه الأنام[3] يأتيها من داره بحومة الجرابة على بعد المسافة وكبر السن وضعْف البُنْية، فإنه ناهز التسعين إذ كانت ولادته كما مرّ سنة ثمان وخمسين وألف ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف[4] فتكون مدة عمره خمساً وثمانين.

وكتب على ضريحه وهو بتربة بقرب الإمام ابن عبد السلام أبيات لا أدري قائلها وهذا نصها: (الكامل)

رمْس تخطّ به يد التصريف	توقيع تحذير بغير حروف
وضجيعـه تبـدي مـآثـره لنـا	دُرَر العلا من بحره المكفوف
نفذت فتاواه وما نفذت فتو	ته التي بعلا المعارف توفي
إذا حاز في تاريخه كل الكما	ل عليّ المفتي الإمام الصوفي

* * *

ويوسـف درغوث بن عبد كبيرهم — بيوسف المدعوّ الإمام غدوا عشرا

أما يوسف الأول[5] فهو الشيخ الإمام العلَم الهمام، ذو الرئاسة

---

(1) ولد بتونس سنة 1063 / 1652. (ذيل بشائر: 241).

(2) تنسب إلى الوليّ الصالح أبي هلال عياد الزيات بن مخلوف التميمي المتوفى سنة 650 / 1252.

(3) هو كتاب: تنبيه الأنام من بيان علو مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لعبد الجليل بن محمد بن حطوم المرادي القيرواني. (كشف الظنون: 1/486).

(4) الموافق لسنة 1730 م.

(5) ترجمته في الحلل السندسية: 3/295 ـ 296 ـ ذيل بشائر: 244 ـ 245 ـ المؤنس: 299.

العليا والسمعة التي طبقت الدنيا. ورث الرئاسة كابراً عن كابر، ورُبّي كما قال الوزير: في حجور المحاريب وكواهل المنابر، وجمع له بين طيب الأعراق وحسن الأخلاق.

ولد سنة تسع وثمانين وألف[1]. وأخذ الفقه عن والده وشيخ الإسلام أبي الحسن علي الصوفي والعلامة المحقق المدقق أبي الثناء محمود مهتار[2] والفقيه حسين[3] والإمام أبي العباس أحمد برناز والشيخ هبة الله[4] وجدّ جدي محمد بن حسين بيرم قرأ عليه مختصر القدوري[5]. وسمع والدي منه[6] مشافهة. وأخذ غير الفقه عن الأستاذ المحقق قاسم الجبالي[7] وشيخ العربية أبي عبدالله محمد الغماري[8]. ولا ينتسب له أحد بتلمذة إذ لم يدرس إلا ما قيل أنه أقرأ القَطْر[9] في بادىء أمره، ولذلك كانت ملكته ضعيفة، إلا أنهم يصفونه بمعرفة النوازل.

---

(1) الموافق لسنة 1678 م.

(2) توفي سنة 1124 / 1712. وترجمته في: الحلل السندسية: 3/157 ـ 158. ذيل بشائر: 213.

(3) هو الشيخ المعروف بالفقيه حسين الحنفي المولود سنة 1054 / 1644 وترجمته في: ذيل بشائر: 241 ـ 242.

(4) هو الشيخ هبة الله بن أحمد الحنفي المتوفى سنة 1119 / 1707. وترجمته في: ذيل بشائر: 209 ـ 210.

(5) مختصر القدوري للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي المتوفى سنة 428 / 1036. حول هذا المختصر وأهميته عند علماء المذهب الحنفي وشروحه انظر: كشف الظنون: 2/1631.

(6) أي من الشيخ يوسف بن عبد الكبير درغوث صاحب الترجمة.

(7) ترجمته في: ذيل بشائر: 256، وفيه: أبو القاسم.

(8) توفي سنة 1119 / 1707. وترجمته في ذيل بشائر: 204 ـ 205 ـ شجرة النور: 322.

(9) قطر الندى وبلّ الصدىٰ: مقدمة في النحو لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام المتوفى سنة 762 / 1360.

حكى لي الفقيه محمد الدهماني الأكبر إمام جامع القصبة كان قال: كنا نقرأ على الشيخ أبي عبدالله محمد أرنؤوط الذي ولي الفتوى مع الشيخ يوسف درغوث حسبما يأتي فأتته قضية كانت عند الشيخ درغوث ونقل له جوابه فيها فأنكره، وقال لي: إذهب إلى الشيخ وقل له: بلغني أنك أجبت في مسألة كذا بكذا مع أن جوابها كذا، فبلّغته ذلك، فقال لي: قل له بل جوابها هو ما أجبت أنا به والمسألة منصوصة في السراج فلينظرها فيه، فأخبرت الشيخ أرنؤوط بما قال، فنظر في السراج فوجدها فيه كذلك فتعجب وقال: ما فائدة تدريسنا حينئذ.

وسمعت المفتي حامل لواء المذهب المالكي في عصره على كامله أبا الفضل قاسم المحجوب[1] يقول في وصف الشيخ درغوث بمعرفة النوازل: رأيته خَطَّأَ فقهاء المالكية في مذهبهم وذلك أني حضرت بدار القاضي في بعض الأيام لعارض اقتضى ذلك فعرضت للفقهاء المالكية نازلة وهي أن مشترياً لعين قام بعيب قديم فيها ليردها على بائعها له فاعترف له البائع بوجود العيب للحال وقدمه ودفعه بأنك رأيته حين البيع ومع ذلك اشتريت وذلك رضى منك به، فأنكر المشتري رؤيته، فطلب البائع يمينه على نفي الرؤية، فأجابه أولئك الفقهاء بذلك، وقال الشيخ درغوث: لا إذا لم يدع عليه الإراءة ولا تلزم اليمين بدون دعواها.

قلت: وهذا الذي قاله الشيخ درغوث ليس مذهب الحنفية لإناطتهم توقف لزومها، أي اليمين، على دعوى الإراءة سقوط حق المشتري في الردّ بالعيب بعموم علمه به دون خصوص إعلام البائع إياه، فإن كان ذلك الشيخ عالماً بذلك إلا أنه أراد تخطئة أولئك الفقهاء في مذهبهم، فهذه

(1) ولد بمساكن. وأخذ بها عن علي بن خليفة المساكني. ثم استقر بتونس وأخذ عن علمائها. (شجرة النور: 348).

زيادة فضل فيه وإن كان ظاناً أنه مذهبه فهي نقصان.

وقد كان الشيخ يوسف ولي الفتوى وخطبة الجامع اليوسفي يوم موت أبيه في التاريخ السابق.

وبلغني أن الأمير الكبير المولى حسين بن علي رفعه من الجلاز لباردو إثر فراغه من دفن والده فقلّده ذينك الوظيفتين. ولم يتقلّد هو ولا غيره من الدرغوثيين ممن تقدمه أو تأخر عنه من وظائف الفقهاء سواهما.

وأما يوسف الثاني وهو الملقب برتقيز والمشهور بالإمام الزغواني[1] فهو الشيخ الفقيه النبيه الخيّر النزيه.

كانت له مشاركة حسنة في فنون عدة. ولد بزغوان عام اثنين وتسعين وألف[2]. فحفظ القرآن العظيم وجوّده برواية نافع بالزاوية العزوزية، وقرأ على الشيخ أحمد الهرميلو الأندلسي نبذة من النحو وشرح السعد للعقائد النسفية[3].

وارتحل لباجة فأخذ عن أجلّ علمائها الشيخ حميدة المفتي[4] بهجة السيوطي والسعد البياني والعروض.

وارتحلّ لمصر فأخذ بالأزهر الفقه وأصوله عن الشيخ أحمد العقدي وقطعه من الهداية[5] عن الشيخ خليل تلميذ الحموي.

---

(1) ترجمته في: ذيل بشائر: 257 ـ 259.

(2) الموافق لسنة 1681 م.

(3) العقائد للشيخ أبي حفص عمر بن محمد النسفي المتوفى سنة 537 / 1142. حول هذا الكتاب وشروحه راجع: كشف الظنون: 2/1145 وما بعدها.

(4) ترجمته في: ذيل بشائر: 145.

(5) كتاب الهداية لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة 593 / 1196. حول هذا الكتاب وشروحه راجع: كشف الظنون: 2/2031.

ثم حجّ عام أربعة وعشرين[1] وجاور. وأخذ بالحرمين قطعة من المبسوط للسرخسي[2] ونبذة من الكنز[3] وشرح ملا مسكين[4] وربع الدرر ونصف الملتقى[5]. وأخذ الحديث عن خاتمة المحدثين عبد الله بن سالم البصري[6] ولازم الشيخ المعمّر الشهير بالعابد.

ثم كرّ لتونس فقدمه الأمير الكبير المقدس حسين باي بن علي لإمامته وأقبل عليه بكليته وأولاه الحظ الأوفر من عنايته فنال من الحظوة عنده ما لا كفاء له. ولما توفي الشيخ علي الصوفي أعطاه جميع وظائفه، فنزل لتونس مفتياً إماماً راوياً مدرساً بجامع محمد باي[7]، ثم أُضيفت له خطبته أيضاً. وقدم عوضه إماماً به ابنه أحمد على صِغَر سِنِه إذ كان ابن سبعة عشر سنة ولعلم علي باشا بحظوته عند عمه ومكانته لم ينقص منه

---

(1) الموافق لسنة 1712 م.

(2) هو شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفى سنة 483 / 1090.

(3) كنز الدقائق في فروع الحنفية للشيخ أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة 710 / 1310.

(4) ملاّ مسكين: هو الشيخ معين الدين الهروي المتوفى سنة 954 / 1547. وحول شروح كتاب الكنز راجع: كشف الظنون: 2/1515.

(5) في المخطوط: المنتقى، وهو تصحيف. وهو كتاب ملتقى الأبحر متن موجز في الفقه الحنفي لابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة 956 / 1549. (كشف الظنون: 2/1814).

(6) ولد سنة 1040 / 1630 وتوفي سنة 1134 / 1721. من آثاره: الضياء الساري على صحيح البخاري ـ الإمداد بمعرفة علوّ الإسناد. (فهرس الفهارس: 1/136 ـ معجم المؤلفين: 6/56 ـ هدية العارفين: 1/480).

(7) شرع في بنائه محمد باي المرادي سنة 1104 / 1692. ومات قبيل إتمامه سنة 1108 ـ 1696 فأتمه أخوه رمضان باي. يقول محمد بن الخوجة: «وهذا الجامع هو أكبر الجوامع الحنفية وأفخم جوامع الخطبة بتونس على الإطلاق» (راجع معالم التوحيد: 185 وبعدها).

بعد انقلاب الدولة إليه عام وأربعين[1] إلا بسلب مهجته[2] فقتله خنقاً تغمّده الله برحمته.

وله من التآليف شرح القدوري المسمّى بالمنن.

* * *

ومن بعده عبد الكبير ابن من غدا يلقّب بالصّوفي وأعظمْ به قدْرا

بعد قتل الشيخ يوسف الإمام وليّ الفتوى الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ علي الصوفي[3] وهو عالم الرواية وعلم الدراية والرافع للمذهب الحنفي الراية.

ولد سنة تسع وثمانين[4]. أخذ العلم أولاً عن والده. وحضر في صغره لشيخ أبيه مصطفى بن عبد الكريم في نبذة من الفقه. ثم أخذ عن الفاضل الكامل البارع المحقق محمود مهتار والفقيه حسين والشيخ محمد الكفيف[5] والشيخ هبة الله من الحنفية وشيخ الجماعة الأستاذ البركة عبد القادر الجبالي[6] وشيخ العربية في وقته أبي الفضل قاسم الغماري والد أبي عبدالله محمد الغماري المعدود في شيوخ الشيخ درغوث آنفاً، أخذ عنه مغني ابن هشام، وعلَم التحقيق أبي عبدالله محمد الغماد شيخ والده أيضاً، وشيخ المحدّثين سيدي سعيد المحجوز[7] من المالكية.

---

(1) بياض في كل النسخ الخطية.

(2) كذا في كل النسخ ولم نهتد إلى المعنىٰ المقصود.

(3) ترجمته في: الحلل السندسية: سنة 3/92 / 94 ـ ذيل بشائر: 243 ـ 244.

(4) في الحلل السندسية: سنة 1088 / 1677.

(5) توفي سنة 1123 / 1711. وترجمته في ذيل بشائر: 194 ـ 195.

(6) توفي سنة 1122 / 1710. وترجمته في: الحلل السندسية: 3/152 ـ 156 ـ ذيل بشائر: 205 ـ 206 ـ الشهب المخرقة: 298.

(7) توفي سنة 1119 / 1707. وترجمته في: الحلل السندسية: 3/131 ـ 132 ـ ذيل =

ثم تصدّر للتدريس فانثال الحنفية على الأخذ منه، وكثر انتفاعهم به لأنه أقرأ بالشماعية منذ وليها بنزول والده عنها عام سبعة عشر إلى أن سافر لاصطنبول على ما سيأتي نحو ثلاثين سنة، فتخرجت عليه جماعة منهم: الشيخان الفاضلان الآتيان في السياق فرسي رهان أبو عبدالله محمد أرنؤوط المفتي الآتي ذكره وأبو محمد حسن البارودي جدّ هذا الفقير لأمه.

وكانت بيده مع الشماعية إمامة الجامع اليوسفي وروايته وخطبة جامع محمد باي[1].

ولما دخل علي باشا أولاه الفتوى عوضاً عن الشيخ برتقيز على ما مرّ، وكان يرى أنه مبخوس الحظ، حاملاً من تقدم الشيخ يوسف درغوث حسّاً ومعنى، مؤملاً قيام حظه في دولة علي باشا.

فلما جاءت ورأى الشيخ درغوث على جلالته بلا زاد واقتصر به هو على مجرد التوظيف في الفتوى مع شدة وطأة علي باشا اشرأبت نفسه للخروج من تونس، وتحيّل لذلك بحيلة تمّت له وذلك أن علي باشا لما

= بشائر: 210 ـ شجرة النور: 322 ـ الشهب المخرقة: 181.

(1) في هامش ـ أ ـ ورد تعليق نصه: ذكر الشيخ شمس الدين في رحلته أن ولاية الشيخ عبد الكبير للخطبة والإمامة المذكورتين يسراه في تاريخ واحد وهو سنة 1138. والذي أظنه أنه تولاهما عوضاً عن الشيخ أحمد برناز صاحب الشهب. ثم رأيت في تلك الرحلة ما يحقق ما ظننته وهو أن الشيخ برناز المذكور توفي في ذي القعدة من السنة 1138 المذكورة وذكر أنه كان بيده الإمامة والخطبة المذكورتان كما هو العالق بذهني. وقد أخذ الإمامة بعد موته تلميذه الشيخ حسن البارودي. نص على ذلك المؤلف في الكتاب الذي ألّفه في ذكر نسبه، وتلك الولاية سنة 1150. ولما توفي الشيخ حسن المذكور أخذها أخوه الشيخ الحاج حسين على ما يأتي للمصنف في ترجمته من هذا الكتاب وذلك فيما أظن سنة 1157 ثم عزله الباشا بعد ذلك بعد عام على ما ذكره المصنف أيضاً، فيكون عزله سنة 58 أو 59. وقد وقفت في بعض التقاييد على أن ولاية الشيخ عمر بوشناق لهاته الإمامة سنة 62. فانظر المتولي لها في المدة الفارغة التي هي ما بين سنة 59 وسنة 62 وهي سنتان.

هيأ الهدية الموجهة للسلطان وعيّن للسفر بها جمْعاً من أعيان الديوان حسّن له الشيخ أن يرسله معهم ونظر له بأنّ والده كان أرسل في الهدية الموجهة أيام عمه، فاستحسن ذلك منه، وأذن فيه ولم يعلم ما وراءه. وأسرّ الشيخ لبعض طلبته حين وداعه بأنه لا يعود. فلما قضوا مآربهم وراموا الرجوع أظهر لهم الشيخ ما أضمره من عدم العود فتركوه هناك ورجعوا. ولم يطل مقامه هناك بعد رجوعهم بل مات عن قرب، إلاّ أني لا أتحقق تاريخ وفاته[1].

وحكى لي بعض التجار الذين سافروا لاصطنبول وكان حاضراً لموت الشيخ بها أنهم عظّموه هناك جداً حتى أنهم دفنوه بالتربة التي دفن بها الطواشيون الذين للسلطان وكتبوا على قبره بالذهب المنزّل في اللاّزَوَرْد.

* * *

محمد أرنوط تلاه محمد ليوسف درغوث غدا ولداً برّاً

هذا ابتداء من أدركته من مفتيي الحنفية.

أما الأول[2] فهو الشيخ الإمام الهمام الفقيه المحصّل، قليل النظير في القيام بالمذهب الحنفي في وقته. لازم الشيخ المفتي عبد الكبير الصوفي وصاهره على بنته، فشرب من نهرْ علومه عللاً فقد نهل. وأخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن علي سويسي. ولا أعلم له شيخاً ثالثاً.

---

(1) بهامش ـ أ ـ تعليق نصه: قول حفيد المصنف: إن وفاة الشيخ عبد الكبير كانت في سنة 1150 حسبما تفيد الطرة التي كتبناها بمحول هاته الصفحة.

(2) أي الشيخ محمد الأرنؤوط. وترجمته في: ذيل بشائر 271 ـ 272.

وتصدّر للتدريس فأقرأ في الفقه كتباً جمّة كالقدوري بشرح الجوهرة والكنز بشرح العيني والمجمع بشرح ابن فرشتا[1] وصدر الشريعة والدرر وأشباه ابن نجيم[2]، وفي الفرائض شرح السيّد على السراجية[3]، وبعضها تكرر له الإقراء فيه، وفي الأصول شرح ابن العيني على المنار[4]، فانتفع به الحنفية، إذ جلّ من أدركناه منهم قد أخذ عنه.

ولما وقعت الواقعة على الشيخ برتقيز أعطي جامع محمد باي إمامة وخطبة ورواية وتدريساً. وحين وقع الإياس من عود الشيخ عبد الكبير الصوفي من الروم أُعطي منصب الفتوى وتدريس الشماعية[5]. وبقي يفتي مع الشيخ يوسف درغوث إلى أن أتى الشيخ يوسف أجله فتوفي إلى عفو

---

(1) مجمع البحرين وملتقى النهرين كتاب في فروع الحنفية للإمام مظفر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي البغدادي المتوفى سنة 694 / 1294. وابن فرشتا شارح هذا الكتاب هو: عبد اللطيف بن عبد العزيز بن ملكشاه المتوفى في حدود سنة 850 / 1146. (كشف الظنون: 2/1601).

(2) الأشباه والنظائر في الفروع للفقيه زين الدين بن ابراهيم المعروف بابن نجيم المصري الحنفي المتوفىٰ سنة 970 / 1562. (كشف الظنون: 1/98).

(3) السراجية في الفرائض لمحمد بن محمد بن عبد الرشيد سراج الدين السجاوندي (تاج التراجم: 57 ـ كشف الظنون: 2/1247). أما شارحها فهو السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني وقد فرغ من تأليفه بسمرقند سنة 804 / 1401. يقول حاجي خليفة: «وهو الشرح الباهر المتداول بين الأنام». (كشف الظنون: 2/1248).

(4) كتاب منار الأنوار للشيخ أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي. أما شارحه فهو زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بابن العيني. (كشف الظنون: 2/1823 وما بعدها).

(5) بهامش ـ ب ـ تعليق نصه: قوله: وتدريس الشماعية فيه أن الشماعية بعد الشيخ عبد الكبير أخذها الشيخ حسن البارودي. وقد وقفت على أمر ولايته منصوصاً فيه أنه عوض الشيخ عبد الكبير الصوفي لوفاته مؤرخاً بأواسط رجب سنة 1150 مختوماً بختم علي باشا. والذي أظن أن الشيخ أرنؤوط إنما أخذ الشماعية بعد وفاة الشيخ حسن البارودي الواقعة في سنة 1157.

الله تعالى سنة ست وخمسين ومائة وألف[1].

وكتب على ضريحه من إنشاء أبي العباس أحمد سميّا فيما أظن: (الكامل)

للَّه رمْس ضمّ يوسف عصره ... فغدا به كالبدر في غَسَق الظلام
حاز المحاسن في الحياة وبعدها ... ورقى المنابر في جلال واحتشام
ما جاءه لمحلّه ذو حاجة ... إلاّ وشاهد في محيّاه ابتسام
فإذا سمعت ثناءه من مادح ... لا تعجبن هو درغوث من كرام
أجلى صدا الفتيا بحدّة ذهنه ... فتبهرجت بجماله بين الأنام
وكساء علاه حلّه من بهجة ... محرابه والمنبر العالي المقام
فسل المهيمن يكسه حُلَل الرضى ... ويهب له الخيرات في دار السلام
وبحقه قل إن سألت مؤرخاً ... هذا الهمام الإمام ابن الإمام

ورثاه العلامة الحافظ المفتي أبو عبدالله محمد سعادة[2] بقوله: (الكامل)

خطب أَلَمَّ ومصْرع قد حيّرا ... مُذْ حَلّ من أعلامنا أعلى الذرى
وتسابقت في الحتْف فرسان له ... فحوى السباق لها هماماً أكبرا
وتفتقت منه القلوب وأيقنت ... أن الدنيا غرّارة لا تشترى
مثمونها سلب النفوس ومن يبع ... أخرى بها يوماً فقد خسر الشرا
أو ما تراها قد أبادت يوسفا ... مفتي الأنام فصار في تحت الثرا
درغوث من ورث الفضائل كابراً ... عن كابر فسما إلى أعلى ذرا
في مذهب النعمان كان محقّقاً ... وله اليد الطولى على كل الورى

(1) الموافق لسنة 1743 م.

(2) ولد سنة 1088 / 1678 وتوفي سنة 1171 / 1757. عالم وأديب. من مؤلفاته: قرّة العين بنشر فضائل الأمير حسين - تنوير المسالك من شرح منهج السالك إلى ألفية ابن مالك.
(ذيل بشائر: 249 - 250 - شجرة النور: 345 - عنوان الأريب: 2/15 - 18).

وخطيب جامع يوسف وفصيحهم مهْما رقي عند الخطابة منبرا
قل للحوادث هكذا حكم القضا من رام خلداً بعده فقد افترى
أَيُسَرّ ذو عقل بفقد قرينه ولحوقه لا شك فيه ولا افترا
فاللَّه يرزق أهله صبراً على ما نالهم من المصاب وأضجرا
وينيلهم من بعده توفيقه ويمنّ بالفتح المبين لمن قرا
صبراً بنيّ فلا يفيد تضجّر عن فائت فالصبر أجمل ما يرى
فأبوكما أفضى لفضل إلاهنا فالله يمنحه جزاء خير الورىٰ
ويحلّه جنات عدن رحمة منه وأسأله له أن يغفرا

وأما الشيخ محمد درغوث وهو رابع من ولي الفتوى من بيت الدرغوث وآخر من وليها منه فقد كانت تأخرت ولايته عند موت أبيه الشيخ يوسف نحو عشرة أشهر لأن علي باشا رام أولاً صرف الفتيا عنه لما يفهم من قول الشيخ سعادة: «ويمنّ بالفتح المبين لمن قرا» وأراد تقليدها الشيخ حسن البارودي حين قدومه من اصطنبول لأنه كان أرسله إليها برسم شراء الكتب في حياة الشيخ يوسف، فمات الشيخ في غيبته، وبقيت الوظيفة شاغرة في انتظاره تلك المدة. وفيها ابتدأ ابن الشيخ يوسف هذا قراءة متن الآجرومية على شيخنا أبي الحسن علي بن سلامة ومعين المفتي على الشيخ محمد أرنؤوط. حتى إذا ورد نعي الشيخ حسن وموته. . .[1] الذي كان عند ابن الشيخ حديث الفرج بعد الشدة مع أخذه في القراءة على الوجه الذي ذكرناه وجد الساعون له في الولاية من صهره سليمان بن علي باشا وحواشيه السبيل إلى الكلام في ذلك، فأولاه الفتوى وخطبة الجامع اليوسفي بعد جهد جهيد.

* * *

(1) كلمة غير مقروءة بكل النسخ.

قفــاه حسيــن البــارودي وقرينــه		أبو من غدا في جمعهم ينظم الشعرا

واعلم أنه لما أُضيف أبو عبدالله محمد درغوث للشيخ أرنؤوط بقي معه إسماً بلا مسمّى، ولفظاً بلا معنى، وما زال الأمر على ذلك إلى أن انقرضت دولة علي باشا يوم الخميس سادس ذي الحجة من عام تسعة وستين ومائة وألف[1] وجاءت دولة المولى الأمير المعظم محمد باي ابن الأمير الكبير حسين باي، فعزل المفتييْن الحنفييْن، وأولى مكان الشيخ أرنؤوط الشيخ أبا عبدالله حسين البارودي، وهو عم والدتي، الفتوى بخطبة الجامع اليوسفي التابعة لها، ومكان أبي عبدالله محمد درغوث والدي. وخرجت بذلك الفتوى وخطبة ذلك الجامع من بيت الدرغوثيين بعد أن أقامتا به من عام خمسة وسبعين وألف إلى آخر عام تسعة وستين ومائة وألف[2]، أربعاً وتسعين سنة، متداولتين بين أربعة منهم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وليس سبب عزل المذكورين كونهما من جماعة علي باشا بدليل عدم عزل الأفندي وهو الشيخ الأجل أبو النخبة مصطفى الطرودي ولا مفتيَيْ المالكية وهما الشيخان الأجلان أبو العباس أحمد المكودي[4] وأبو الفضل قاسم المحجوب[5]، مع أن كلهم من الجماعة الذين هو أولاهم، وإنما عزل كل منهما كالقاضي المالكي الشهير بالكافي[6] لسبب يخصّه على ما أفصح به ذلك الأمير وقت تولية والدي.

---

(1) الموافق لسنة 1755 م.
(2) أي من سنة 1664 م إلى سنة 1755 م.
(3) سورة آل عمران، الآية: 140.
(4) ترجمته في شجرة النور: 346.
(5) ترجمته في شجرة النور: 348.
(6) لعله نصر الكافي المذكور في الإتحاف: 7/140.

أما أبو عبدالله محمد درغوث فلمَا من كونها بشفاعة صهره لقصوره بسبق من صورة ولايته، وأما القاضي الكافي فلكثرة القدح في أمانته، وأما الشيخ أرنؤوط فلما صدر من باي قسنطينة من مهانته، وذلك أن علي باشا لما أحسّ بحركة الجزيريين إليه أخذ كثيراً من ماله فقسّطه أقساطاً كل قسط عشرة آلاف بندقي وأودع كل قسط بعضاً من الناس ومنهم المفتي المذكور، فلما دخلت البلد من أقطارها وعبثت أيدي الجزيريين بالنهب في ديارها دخلت دار الشيخ أرنؤوط ونهبت له تلك الوديعة فلم يصدقه حسن باي في ذلك واتهمه بأنه استخلصها لنفسه فضربه بالسياط رجل كبير قارب الثمانين من أهل العلم، لا سامحه الله، فتذمّم ذلك الأمير في إبقائه بعد هذه المهانة رئيس المفتين، ولقد كان حاملاً من فعل حسن باي به أمراً عظيماً ساعياً في خلاصه جهده.

حكى لي من كان رئيس الكتّاب ببلدنا وهو أبو عبدالله محمد الدرناوي أن ذلك الأمير استدعاه وأرسله للشيخ أرنؤوط وهو في سجن حسن باي وقال له: «قل للشيخ يكتب كتاباً لحاكم الجزائر يفصل له القضية ويستعطفه فيه»، ولما وقع الصلح على قدر من مال يؤديه الشيخ وباع فيه ما ملكه في عمره من دار سكناه وهنشيره ولم يوقف ثمنها بذلك زاد فيه الأمير ألف محبوب من عنده.

فلنرجع لترجمة من في البيت الأول من الشيخين فنقول:

أما الأول فهو الشيخ الصدر الشهير، صاحب الغوص في التحرير. ولد عام اثني عشر ومائة وألف[1] في دولة مراد باي الأخير. وأخذ العلم عن جماعة منهم: الأستاذ أبو الحسن علي سويسي، حضر له في إقرائه لشرح الباشا على التسهيل، والعلامة المحقق أبو عبدالله محمد

---

(1) الموافق لسنة 1700 م.

الحرقافي[1] سمعت منه رحمه الله تعالى قال: قرأت عليه شرح القطر لمصنّفه، فلما ختمته سألته تعيين ما أقرأ عليه بعده فأشار بمنلا جامي[2] فاستصغرت نفسي عنه، فقال: أنا أدرى بما يصلح بك، فطرتك جيدة، وما لك إلا أن تصل لفهمه»، فقرأته عليه، والشيخ أبو محمد حمودة العامري[3] الخليفة بالجامع الأعظم.

وأخذ الفقه عن الشيخين أبي العباس أحمد الطرودي[4] وملاّ باكير[5] إمام علي باشا. وقد عاقته المحن التي اعترضته في الدولة الباشية عن تعاطي التدريس لأن جلّ مدتها مرّ عليه ما بين سجن ونفي مكرر لزغوان مرتين فإنه بعد أن سرّحه لتونس حين جاء نعي أخيه الشيخ حسن من الروم وأولاه ما كان بيده من إمامة الجامع اليوسفي وروايته لم يمض إلا نحو عام وبدا له فيه فردّه منفياً لزغوان وما سرّحه إلا بعد انقضاء فتنة ابنه يونس، فأولاه إمامة الجامع الباشي. وروايته وتدريسه. ولما انقرضت دولة علي باشا وجاءت دولة المولى محمد باي أنشد لسان الحال: (الكامل)

سعد الزمان وساعد الإقبال ودنا المنى وأجابت الآمال

لأن ذلك الأمير أولاه من العز والإقبال ما لا يعبر عنه مقال. فصرفت إليه الوجوه وتعلقت به الآمال، فأولاه الفتيا بتابعتها على ما مرّ، وأعطاه أيضاً خطبة باردو، ونقله من إمامة الجامع الباشي مبقى عليه روايته

---

(1) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 251 ـ 252 ـ الحلل السندسية: 101/3 ـ الشهب المخرقة: 184.

(2) لعل المقصود: عبد الرحمن بن أحمد الجامي المتوفى سنة 898 / 1492. ومن كتبه في النحو: شرح الكفاية لابن الحاجب.

(3) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 242 ـ 243 ـ شجرة النور: 323.

(4) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 252 ـ 253 ـ الحلل السندسية: 119/3.

(5) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 246.

وتدريسه لجامع والده الشهير بالجامع الجديد[1] إمامة ورواية وتدريساً وخطبة أيضاً حتى اجتمعت بيده ثلاث خطب، ولم يتفق هذا لأحد قبله ولا بعده، فأما خطبة باردو فباشرها بنفسه، وأما خطبة الجامع اليوسفي فأناب عنه فيها إمام الخمس به الشيخ عمر بوشناق كما أنابه في رواية الجامع الباشي، وأما خطبة الجامع الجديد فأناب فيها من كان بها مستقلاً بها وبباقي وظائف ذلك الجامع المنقول وهو الشيخ محمد قرباطاق[2]، فكان منشداً بلسان الحال قول من قال: (مجزوء الكامل)

ومـــن النـــوائـــب أننـــي   في مثل هذا الأمر نائب
ومـــن العجـــائـــب يـــا فتـــى   صبري على هذي العجائب[3]

وأعطي أيضاً تدريس الشماعية فأقرأ بها ملاّ مسكين على الكنز، كما أقرأ بالجامع الباشي الجوهرة[4] على القدوري ولم يختمها.

وكان رجلاً قانتاً لربه، خاشعاً، قائماً بالحق، صادعاً، حسن التلاوة لكتاب الله تعالى إتقاناً لتجويده وعذوبة نغمه به، لا يشق له في ذلك غبار. وله رسائل مفيدة في مسائل عديدة.

وقد هنّأه المحقق المدقق الأديب البارع أبو محمد حمودة بن عبد العزيز في ولاية الخطبة والفتيا والدار التي أعطاها له الأمير ليسكنها بقوله: (الوافر)

تَضَـوّع منبـر تعْلـوه طِيبـا   غـداةَ رقيـت ذروتـه خطيبـا
وتطـربـه فيهتـزّ ارتيـاحـا   كما قـد كـان أملـودا رطيبـا

---

(1) يعرف اليوم بجامع الصباغين. وقد بناه حسين باي وكان تمام بنائه في سنة 1139 / 1726 (راجع: تاريخ معالم التوحيد: 210 ـ 212).

(2) ترجمته في: ذيل بشائر الإيمان: 265 ـ 266.

(3) تعليق بهامش ـ ح ـ نصه: لأنه صار نائباً وكان فيه أصلاً.

(4) هو شرح لمختصر القدوري للحدادي العبادي المتوفى في حدود سنة 800 / 1397.

أهنئك يا إمام العصر يا من ... بحكم اللّه مجتهداً مصيبا
فأضحى الدين محميّاً مصوناً ... وقدما كان لاقى شحوبا
وأضحى آهلاً بمراح أنس ... وقبْلك كان في الدنيا غريبا
ودار قد حللت بها فظلت ... لمرتاد العلا ربعاً خصيبا
تضمّ البدر لا يخشى محاقاً ... وتحوي الشمس لا تبغي غروبا
قد ازدحمت بساحتها وفود ... وما أحد توهّم أن يخيبا
فلاقوا منك وجهاً ذا ابتسام ... وصدراً ضمن التقى رحيبا
سقاها غير مفسدها سحاب ... يحاكي جود راحتكم صبيبا
ولا زالت سعودك في نوال ... وقد زالت نحوس لن تؤوبا
تبلغ كلّ ذي أمل مناه ... بعيداً كان ذاك أو قريبا

وما زال على ما هو عليه من الجلالة والاحترام إلى أن وفاه الحِمام وانتقل لرحمة الملك العلاّم وذلك في ذي القعدة الحرام من عام ستة وثمانين ومائة وألف[1].

وكتب على ضريحه من إنشاء سيدي صالح الكواش[2] : (الرمل)

ذا ضريح أم رياض لم يزل ... من سحاب العفو في وبل وطل
خلته يحتوي الدّراري فلكا ... حله شمس الهدى لكن أفل
ذو علوم وذكاء وتُقى ... وابتهال وسخاء وخجل
نسب البارودي فيه حيثما ... شق في الفتيا مصاليب الجبل
ربّ لا تقطع شآبيب الرضى ... عن حسين يا كريماً لم يزل

---

(1) الموافق لسنة 1772 م.

(2) ولد سنة 1137 / 1724 وتوفي سنة 1218 / 1803. راجع ترجمته في: الإتحاف 44/7 ـ 47 ـ شجرة النور: 365 ـ عنوان الأريب: 64/2 ـ 67 ـ فهرس الفهارس: 49/2 ـ معجم المؤلفين: 16/5.

قد مضى يرجو رضى الرحمٰن أرّ خت يا مؤمن من بلغه الأمل

ورثيته بقولي وهو أوّل شعر قلته: (الكامل).

خطْب جليل قد ألمّ بتونس أمست به في وحشة لم تؤنس

ذهلت له ألباب أرباب العلا من كلّ ذي عقل سليم كيّس

وتصدّعت أكبادهم لسماعه وغدا فصيحهم شبيه الأخرس

أعظم به من حادث مستنكر عمّ الوجوه بوحشة وتعبّس

هو فقد جمّاع المكارم كلّها نهر العلوم الدافق المتبجّس

صدر الشريعة ركن الإسلام الذي قد حاز كل جميل فضل أنفس

مفتي الأنام حسين البارودي من هو بارتداء أثواب الفضائل مكتس

ذي همّة قد زاحمت بدر الدجى حتّى علت في الأوج فوق الأطلس

مع عفّة وصيانة وأمانة وتحفظ في دينه وتحرّس

تبكي الحجارة مع قساوتها إذا الزكي الحكيم تلاه جنح الحندس

ناداه داعي الموت لبّى مسرعاً حباً لِلُقْيا ذي العلا المتقدّس

لو كان يرضي ذلك الداعي الفدا لفدته أعيان الورى بالأنفس

لكنه حكم من المولى إذا ما حلّ بالمطلوب لم يتنفّس

أبكيك يا من كان صدراً حيثما جمعت أجلّة تونس في مجلس

واللّه جلّ جلاله أدعوه أن يكسوك أفخر حلّة من سندس

ويبيحك السكنى بجنّات العلى في صحبة الحور الجوار الكنّس

متوسلاً في نيل ذا بالمصطفى المستضاء بنوره في الدحس

صلّى الله عليه مع أتباعه الـ أُسْد الضواري والخطوف الحوّس

ما لاح برق وقهقه رعد في روضة فبكت عيون النرجس

وأما الثاني وهو والدي رحمة الله تعالى عليه ومقامه في العلم أشهر من أن يُنبَّه عليه. فإنه ولد في شوال من عام ثلاثين ومائة وألف. ثم جدّ

في تحصيل العلم، فأخذه معقولاً ومنقولاً فروعاً وأصولاً عن جهابذة ذلك العصر أشهرهم: الإمام الكبير ملحق الأحفاد بالأجداد وحائز قصب السبق بين النقاد أبو الحسن علي سويسي، أخذ عنه مغني ابن هشام وتسهيل ابن مالك والبخاري بشروح كل منها، وحافظ عصره العلامة المحقق المفتي أبو العباس أحمد المكّودي، أخذ عنه كتب المنطق بأسرها ومختصر السعد ومطوّله، وروى عنه صحيح البخاري وأجازه بمروياته، والعلمان العالمان مُحقِقّا المذهب المالكي في ذلك الزمان أبو عبدالله محمود بن العزيز[1] وأبو الفضل قاسم المحجوب، أخذ عن الثاني المكودي على الألفية[2] وأكثر من الأخذ عن الأول إذ أخذ عنه شرحي الألفية للمكودي والأشموني[3] والتصريح[4] والمحلّي ومختصر السعد على التلخيص وشرح عصام على الرسالة الاستعارات بحواشيها والكبرى بحاشيتي المنجور واليوسي[5] وألفية العراقي في المصطلح بشرحي القاضي والمصنّف[6] وروى عنه صحيح البخاري. وأخذ الفقه النعماني عن محقّقه

---

(1) توفي سنة 1162 / 1748. (شجرة النور: 345).

(2) وهو شرح ألفية ابن مالك في النحو لأبي زيد عبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي المتوفى في حدود سنة 807 / 1404.

(3) علي بن محمد الأشموني المتوفى سنة 900 / 1494 شارح الألفية في النحو.

(4) لعل المقصود: كتاب التصريح بمضمون التوضيح، وهو شرح على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري المصري المتوفى سنة 905 / 1499.

(5) العقيدة الكبرى للسنوسي وهو الإمام العالم محمد بن يوسف الحسني السنوسي التلمساني المتوفى سنة 895 / 1489. وصاحبا الحاشيتين على كبرى السنوسي هما: أحمد بن علي الفاسي المنجور المولود سنة 926 / 1519 والمتوفى سنة 995 / 1586 والحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1111 / 1699.

(6) شرح العراقي (عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة 805 / 1402) على ألفيته في الحديث هو: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. أما شرح القاضي (وهو العلامة =

في ذلك العصر العلامة أبي محمد حسن البارودي السابق الذكر وهو عن شيخه المحقق المفتي عبد الكبير الصوفي وهو عن والده علم الأعلام وشيخ الإسلام أبي الحسن علي الصوفي وهو عن شيخه عين الأعيان الذي لم يختلف في تحقيقه للعلوم اثنان شيخ الإسلام أبي النخبة مصطفى بن عبد الكريم وهو عن شيخ الإسلام صدر الحنفية وباث هذا المذهب بالديار التونسية أبي العباس أحمد الشريف الأندلسي وهو عن شيوخه الذين أخذ عنهم بالروم بسندهم إلى صاحب المذهب.

وقد أخذ عنه جماعة من أعيان المذهبين، فمن الحنفية الشيخ النبيه إمام الفرضيّين في عصره أبو محمد حمودة بن محمود والشيخ الفقيه أبو محمد حمودة باكير الإمام[1] والشيخ الفقيه أبو الحسن علي شندرلي وهؤلاء من الحنفية، ومن المالكية الشيخ العلامة حامل راية مذهب مالك ومفتيه الآن أبو عبدالله محمد المحجوب[2] والفاضل المحقق أبو عبدالله محمد الدفيني قاضي الكاف كان، والمحصل أبو زيد عبد الرحمن الفوراتي[3] قاضي صفاقس كان، والبارع المحقق للعلوم العقلية والأدبية أبو محمد حمودة بن عبد العزيز[4] وهو المترجم له في تاريخه الباشي في الجماعة الذين قال فيهم: لا يشق غبارهم ولا يجارى مضمارهم وإليهم تضرب أكباد الإبل، بقوله: وشيخنا المفتي الأكبر أبي عبدالله محمد بن

= زكرياء بن محمد الأنصاري المتوفى سنة 928 / 1521) فهو: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي.

(1) توفي سنة 1220 / 1805. (الإتحاف: 7/49).

(2) توفي سنة 1234 / 1817. (شجرة النور: 370).

(3) توفي سنة 1181 / 1768، وترجمته في: نزهة الأنظار: 2/389.

(4) صاحب التاريخ المشهور المعروف بالكتاب الباشي. وتوفي سنة 1202 / 1787. (شجرة النور: 364).

حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب غير مدافع ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمن شاسع».

ومدحه بقصيدة أوّل ختم منه للبخاري بالمدرسة الباشية عام ولايته مشيختها وهو عام ست وستين[1] ونصّها: (الكامل)

زمن الوصال وعهد أيام الصبا ... يسقيك عهد الغيث ساقته الصبا
من لي بها أيام عهد قد مضت ... ما شمت فيها برق وصل وخلّبا
أيــام مــا ظــلّ المنــام محــرمــاً ... عنّي ولا أمسى الحبيب محجّبا
في حيث زهر الروض بلّله الندى ... فـالشمـس تلتثم منـه ثغْـراً أشْنبـا
والطل مسك فت في ديباج نبْ ... ت ظل منشوراً على تلك الربى
يشتم بالأجفان فأعجب مثل ما ... قـد شـم بـالأجفـان مسكـاً طيبـا
بفنــاء مــدرســة المعظــم قــدره ... البـاشـا أميـر المـؤمنيـن الأغلبـا
ملك الملوك وخير من قاد العسا ... كر في الوغى أسداً وزان الموكبا
يـا حسنهـا عـزّت وعـزّ نظيـرهـا ... لمّـا غـدت بـالعلـم ربعـاً مخصبـا
قد زانها المولى الهمام محمد ... ذاك الأغــرّ الألمعــي الأكتبــا
العــالـم النحـريـر والحبـر الـذي ... لبـديـع أبكـار المعـانـي قـد سبـا
العلـم فـي مغنـاه ألقـى الـرحـل ... والمجـد المـؤثـل فـي داره طنبـا
كشـاف أسـرار البـلاغـة مـوضـح ... لـدلائـل الإعجـاز مجلـي الغيْهبـا
يا محرزاً قصب السباق وحائزاً ... فضل الرياسة حين شاد المذهبا
يهنئك يا مولاي ذا الختم الذي ... لبـس الـزمـان بـه طـرزاً مـذهّبـا
أوضحت فيه من الحديث غوامضا ... دقـت فعنهـا كـل عقـل قـد نبـا
إن البخــاري لــو رآك مقــرّراً ... لصحيحـه لغـدا بفعلـك مُعْجبـا
ذاك الإمام الحافظ الذي قضىٰ ... مـن كـل عليـاء وفخـر مـأربـا

---

(1) الموافق لسنة: 1752 م.

قد كان رافع راية العلم الجليـ ـل وسنّة الهادي النبيء المجتبى
خيرِ الأنـام محمـد المختـار مـن سجـد الجمـاد لـه وكلّمـه الظبـا
صلّى عليــه الله والآل الألــى نصـر الشـريعـة بـالأسنّة والضبـا
مـا مـن صـبّ أو تـذكـر مغـرم زمن الوصال أو عهد أيام الصبا

ومدحه أيضاً الأديب أبو العباس أحمد سميّا في ضمن تهنئة بالبرء من مرض بعد الإشفاق عليه منه مؤرخاً ذلك وهو في التاريخ جودة وبداهة آية كبرى بقوله: (الطويل)

علوم الهدى أضحى هلال كمالها منيراً وأمسى سيفها غير مغمّد
وقد عادت الفتيا لعادتها على منصتهـا في ثوب حسـن مجـدّد
تبسّـم مـن بعـد التعبّس ثغـرهـا فـلاح لتـاريـخ شفـاء محمـد

وله من التآليف: اختصار أنفع الوسائل المسمّى ببغية السائل ورسالة في السياسة الشرعية وتقريظ على شرح العلامة أبي النخبة مصطفى الطرودي على الرسالة العبادية في العروض، وهو: «حمداً لك يا من جعل تعاطي الأدب سبباً للوثوق بأوتاد معاني كلام العرب، إذ هو مركز دائرة العلوم والفاصلة الكبرى بين المنطوق والمفهوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي عمّ البرايا ببسيط برّه ووافر مديد فضله وإحسانه، وغمَرهم في كل بحر جوده وضروب امتنانه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من هزجت في طويل روضة مدحه ألسن المعربين وأفضل من سرحت في جنة وصفه نفوس المادحين، المقتضب من خير جرثومة والمجتث من أطهر أرومة، صلّىٰ الله عليه وعلى آله وأصحابه المبلغين إلى الإسراع في اقتفاء آثاره غاية الجهد، والمجدّين في مضارعة أحواله أبلغ الجدّ، صلاة وسلاماً لا يحصيها عدّ ولا يحيط بها رسم ولا حدّ.

وبعد، فلما أمعنت النظر في هذا الشرح البديع وأجلت الفكر

في هذا الأسلوب الرفيع، الجامع بين درجتي التحقيق وحسن الصنيع (شعر): (البسيط)

ألفيته روضة للحسن جامعة   وجنة زخرفت حقاً بلا مَيْن
أما رأيت بها الأطيار ساجعة   كذا دوائرهابشدْوها تشدوا بلا حيْن
أما بها نفحات الزهر مبتسماً   تذكو وتزكو بها للأنف والعين

ولقد أبدع في ترصيح لآلي هذا التأليف، وأبرع في ترصيع نظمه المنيف، وأنصف حيث سمّاه بالنفحات الزكية إذ مطابقة اسمه لمسمّاه جلية، ولا ريب إنه من النفحات القدسية واللحظات الإلاهية، ولا غرر فإن مؤلفه بالذكاء معروف، وبالتبحّر في العلوم موصوف، وهو الإمام الأجل الخطيب الأكمل العلامة الأفضل، ذو العبارات الرائقة، والتحقيقات الفائقة، المعتمد على ربه الواحد الأحد العلي، مصطفى بن أحمد، أحد أعلام الحنفية، ومظهر شعائر الملّة الحنفية، لا زال كاسمه مصطفى، آخذاً من كل فن بالمكيال الأوفى، ولقد أحسن لسان الحال حيث قال: (البسيط)

للّه درّ كتاب أنت جامعه   فاليُمْن خاتمه والسعْد طالعه
مؤلّف مونق يحلو لناظره   مسلم ليس فيه من ينازعه
ألفاظه الدرّ والياقوت منتظم   في جيد غادة قد لاحت يلامعه
حقاً أقول فلو أنّ الخليل أتى   لذي المعاني لما كانت تطاوعه
فجاء بحر فخَار ليس ينقصه   سوى كمال كما قد شاء صانعه
أنشدت بيتاً بديعاً رائقاً حسناً   مخاطباً من له تروى بدائعه
فأخلد ودم وابق في عزّ وفي دعة   ما أفتنّ فوق قضيب البان ساجعه

وتقريضه أيضاً للرسالة التي ألفتها في السفينة المستأجر ملاحها على تبليغ متاع فيها لموضع معين إذ غرقت وهلك المتاع، وقد وقع في بيان حكم الأجر فيها اضطراب في كلمات الأصحاب يوجب للناظر فيها حيرة

في الجواب ولكشفها عن وجهها النقاب وسمّيتها: «طلوع الصباح على المتحيّر في أجر الملاّح» وهو قوله:

«حمداً على نعمه التي لا تحصى، وآلائه التي لا يمكن بالعدّ أن تستقصى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الشرف والكمال، وعلى جميع أصحابه والآل. فبعد، قد أجلت فكري في مطاوي هذا الورق الذي هو باسم الورق أحق، فألفيته قد أنبأ عن فكر ألمعيّ وذكاء لوذعي، قد أخذ بجميع أطراف مسألة السفينة، وتمكّن بمتعلقاتها مكنة مكينة، فصدق فيه المثل السائر: كم ترك الأول للآخر، فشكر الله تعالى على هذه النعمة الحميدة شكراً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده، إن أهل ولدي ثمرة عمري، وجلاء بصري لهذا الجمع القريب والأسلوب العجيب في التفرقة بين المخطىء في المسألة والمصيب، فرفعت أكفّ الابتهال إلى الكريم المتعال في أن يمتّع الله المسلمين بطول وجوده، ويفيض عليه سجال كرمه وجوده، ويوفّقه لما فيه رضاه، ويتولّى حفظه في دنياه وأخراه».

واكتفيت من نظمه ببيتين قرض بهما مقدمة ابن هشام قبل موته وهو على غاية من الضعف إذ كان ذلك قبل موته بنحو سبعة أيام، فإنه لما رأى ذلك الكتاب بيد ابني محمد زاده الله علماً وتوفيقاً إذ كان يقرأ فيه إذ ذاك وهو صغير قال له: أكتب على ظهره، وهما: (البسيط)

للّـــه درّ إمـــام حـــاز كـــل ثنـــا وكـلّ فخْـر ونـال الفضـل أكملـه

سمّى القواعد هذا الجمع قلت إذن إن القـــواعـــد جمـــع لا نظيـــر لـــه

وأبيات كتبها إجازة لأخينا العلامة مفتي المالكية المتفرد بتحقيق ذلك المذهب في البلاد المغربية أبي عبدالله محمد المحجوب وقد كان استجازه وهو بحال مرض فبعث إليه بإجازة العلامة أبي العباس أحمد بن

مبارك[1] لشيخه الحافظ أبي العباس أحمد المكودي، واقتصر على قوله:
(الطويل)

أجـزْت أبـا عبـد الإلـه محمـداً   بمحجوب يدعى فخر مذهب مالك
بما قد أجاز الشيخ لي وهو الذي   أجـاز العـلامـة ابـن مبـارك
ومـا كنـت أهـلاً أن أجيـز وإنمـا   لمرغوب من أسعفت لسْت بتارك
وعـذراً لتـرك البسـط إذ حـال دونـه   عـوارض أسقـام بجسمـي فـواتـك
وأسـأل مـن مـولـى تـواتـر فضلـه   لنـا ولكـم هـديـاً لخيـر المسـالـك

وما زال الوالد مقترناً في الفتوى بالشيخ حسين البارودي إلى أن توفي ذلك الشيخ في التاريخ الذي مرّ فاقترن به فيها من ولي بعد المشار إليه بقوله:

* * *

محمـد المحـجـوب ثـم محـمـد   هو ابن حسين البارودي الذي مرّا

لمّا توفي الشيخ حسين البارودي ولي عوضاً عنه في الفتوى الشيخ محمد المحجوب ثم بعد مدة من موته زيد ابنه الشيخ محمد مفتياً ثالثاً.

أما الأول، وهو الشيخ المحجوب فكان مشاركاً في عدة فنون، متوسط الملكة في جميعها، خيّراً، كثير الاعتقاد في المجاذيب وأرباب الأحوال.

أخذ الفقه عن المفتيْين أبي العباس يوسف الإمام وأبي عبدالله محمد أرنؤوط، وغير الفقه عن الشيخ البركة حمودة العامري والشيخ المعتقد أبي الفضل قاسم بن عبد الملك[2] والعلامة المحقق

(1) فقيه محدّث، توفي سنة 1155 / 1742. وقد أجازه المكودي إجازة عامة سنة 1143 / 1730. (شجرة النور: 352).
(2) انظر ذيل البشائر: 257.

الشيخ الحرقافي. وأقرأ في كل فن: الفقه والنحو والبيان والكلام.

ولاّه علي باشا مشيخة مدرسة الحنفية[1] حين أنشأها ثم عزله عنها وأولى فيها والدي. ثم ولي نقابة الأشراف بعد عزل الشريف المختار، ثم خطبة الجامع الباشي بعد موت الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الطرودي، ثم الفتوى بعد موت الشيخ البارودي. ثم توفي إلى عفو الله تعالى بالطاعون سنة 1198 ثمانية وتسعين ومائة وألف[2].

وأما الثاني، وهو الشيخ البارودي، فكان فقيهاً جليلاً بارعاً نبيلاً محققاً فروعاً، حسن المشاركة أصولاً، آية كبرى في فصاحة اللسان، حسن النغمة في تلاوة القرآن، يلين لها ولخطبته كل جلمود، إذ قد أُوتي مزماراً من مزامير آل داود.

أخذ العلم عن جماعة كوالده والشيخ حمودة بن محمود والشيخ علي شندرلي وخاتمة المحققين الشيخ صالح الكواش والعلامة المفتي أبي عبدالله محمد الدرناوي[3] وإمام النحو في عصره أبي العباس أحمد السويسي.

وأخذ التجويد عن والده ومؤدّبه الذي انتهت له الإمام فيه الشيخ حمودة ادريس.

ودرّس بالشماعية نيابة عن والده في حياته واستقلالاً بعد وفاته، أقرأ بها صدر الشريعة، حضرت ختمه له. وقد كتب على آخره كتابة

---

(1) المدرسة الباشية: بناها علي باشا سنة 1166 / 1752 وعمّرها بنفائس الكتب وهي بنهج الكتبية حذو مدرسة النخلة (تاريخ معالم التوحيد: 316).

(2) الموافق لسنة 1783 م.

(3) توفي سنة 1113 / 1707. (شجرة النور: 350).

جيدة ألقاها يومئذ. وشرع بعد في إقراء الدرر ولم يكمله.

وألّف رسالة في مسائل الحيطان قرضتها له بقولي: (الكامل)

للّـه رسـالـة لـم تبـق مـن	حسن به تسبي العقول قليلا
موضوعها ببنائها أضحى على	أركـان تحقيـق لهـا محمـولا
صقلت حسام البحث حتى أذهبت	عن حدّ ماضي صفحته فُلولا
وغدت تفصل لؤلؤاً قد كان من	جهـة فعـاد مجـداً مفصـولا
وتمكنت بـالنشب فـي أركـانـه	فلـذا تقـدمهـا غـدا مقبـولا
دامت على المنشىء لها النعم التي	حصلت وبلغ ما نوى تحصيلا

وكنت في هنيته بولاية ابنه المرحوم الذكي الزكي محمد خطبة الجامع الباشي بقولي[1]: (الكامل)

قد نلت في ابنك مثل ما قد ناله	فيك الإمام أبوك أعظم ماجد
وغدوت تدعى بالخطيب وبابنه	وأبيـه والعليـا تنـال بـواحـد

(1) ورد بهامش ـ ب ـ تعليق هامشي نصه: «كانت هذه الولاية للخطبته سنة 1203 [1788] وسببها أن الشيخ يوسف برناز نقل في ذلك التاريخ لخطبة الجامع اليوسفي لموت خطيبه إذ ذاك وهو الشيخ خليل. فلم يزل الشيخ يوسف خطيباً بالجامع المذكور إلى أن توفي سنة 1208 [1793] فولّي خطيباً بالجامع مكانه الشيخ حسونة التركي انتهى من خط بيرم الرابع».

كما ورد تعليق آخر بنفس النسخة نصه: «توفي الشيخ محمد هذا سنة 1207 [1792] يوم الثلاثاء آخر رجب، وولي خطيباً عوضه أخوه الشيخ مصطفى، ثم نقل لخطبة باردو سنة 1212 [1797] عند موت أبيه، وولي خطابة الجامع الباشي أخوه الشيخ حسين إلى سنة 1229 [1813]. ولي الشيخ حسين خطيباً بباردو... مات محمد... وولي بالجامع الباشي أخوه الشيخ عثمان. ثم لما ولي الشيخ عثمان خطيباً بباردو عوضاً عن ابن أخيه الشيخ محمد بن مصطفى ولي خطابة الجامع الباشي حمودة ابن الشيخ أحمد البارودي، ولما توفي تولى تلك الخطبة الشيخ محمد معاوية».

والعادة أطردت وذلك منبىء   إن الحفيد كذا برغم الحاسد

وكتبت إليه معتذراً عن تخلّفي عنه في خرجة خرجها لبعض المنتزهات لضعف حصل لي بهذه الأبيات: (الطويل)

سلام ويا ليتني أشافهكم به   وأين حضور الصبّ من بعث كتبه
سلام امرىء قامت لديه موانع   فصدته عن مغنى الحبيب وقربه
كفى أسفاً للطير إن صيد باغْتِدا   وحيداً يرى حسن ائتلاف لسربه
بحسبي صبر وهو على أمري   عليل تعاصى عنه إدراك طبّه
فسامح ويكفيه التخلف عنكم   ولا توحشوه بعد هذا بعتبه
فإن انظمام العتب للخطب مؤلم   ولسْتم بمن يرضى بما يلام قلبه

وقد ولي أولاً من الوظائف العلمية خطبة الجامع الجديد. وخطب بباردو نيابة عن أبيه ثم استقلالاً ثم الفتيا ثم إمامة الجامع الباشي وتدريسه. وما زال يفتي مع والدي إلى أن أتى الوالد الأجل المحتوم وتوفاه الحيّ القيوم ضحى يوم الأربعاء آخر شوال من عام أربعة عشر بعد مائتين وألف فعاش شهراً بعد أربع وثمانين، وأقام في الفتوى خمساً وأربعين لأنّ ولايته إيّاها كان في أوائل المحرم من عام سبعين.

وقد كتب على ضريحه تاريخان أحدهما لحامل مذهب النعمان وهو الشيخ العلامة المحقق أبي حفص عمر المحجوب والآخر للفقيه الأديب أبي عبدالله محمد ماظور وهو: هنا جنة الخلد «بحسب ما بعد نون منها ألفاً نظراً للنطق لا ياء نظراً للرسم. أما الأول فضمنه ربه حيث قال: (الكامل)

جفْن المنيّة ليس بالوسْنان   يصمي بسيف صارم وسنان
ومن المقابر لو علمت منابر   للدهر يخطب فوقها ببيان
يا أيها الإنسان إنّك كادح   فانظر بعينك غاية الإنسان

وتنقص الأرضين من أطرافها يدعو الورى للزهد في العمران
فانظر جبال العلم وهي شوامخ قد سيرت للمحشر المدان
وانظر إلى مفتي الأنام محمد أمسى رهين الترب والأكفان
لهفي على البحر ابن بيرم غيضت منه علوم الدين والأبدان
قد كان للمفتين منه هداية ونقاية ووقاية اللهفان
قد كان في الفتيا عماد أعمدة صدر الشريعة غرّة الأعيان
وقد كان قطباً مدارها عجباً له وهو المحيط بكنز هذا الشأن
يا مسْبل العبرات عند مصابه تا لله لا تغنيك في السلوان
ما درّه المختار يسلي فقده درر الدموع بمحجر الأجفان
فاستنزل الرحمات عند ضريحه واقرأ له شيئاً من القرآن
يا ربّ قدّس سرّه ومقامه واخلع عليه ملابس الرضوان
أحسن عزاء القائلين وأرّخوا لهفاً لحافل مذهب النعمان

وأما الثاني فضمنته أنا إذ لم يعجبني تضمين «ربّه» إذ قلت: (الهزج)

على مَ العين لا تبدي خطوط الدمع في الخدّ
وهذا عالم الدنيا ثوى في باطن اللحد
هو المدعوّ ببيرم سميّ الهادي المهدي
أينا شيخ الإسلام ويا واسطة العقد
على فرقتك الفتيا تنادي خانني سعدي
وما خفف ما قلت من التبريح والوجد
سوى... مصراع غداً أحلى من الشهد
حوى فلا وتاريخاً مهنا جنّة الخلد

وقد أشرت إلى من ولي بعد بقولي:

* * *

وناظم ذا المدعو محمد بيرما كوالده لا زال في نعم تترا

وإنما قلت: كوالده، وأعني في كونه يدعى محمد بيرماً أيضاً لأني لما ذكرته في المفتين لم أعيّن اسمه إذ قلت فيه: «أبو من غدا في جمعهم ينظم الشعرا» أو وفاته ـ رحمه الله ـ وإن كانت آخر شوال من عام أربعة عشر على ما سبق فإني ما وليت الفتوى إلا في أوائل محرم من عام خمسة عشر، وسبب التأخر هذه المدة مرض الأمير المرحوم حمودة باشا مع التروّي فيمن يقلد وظيفة القضاء التي كانت بيدي حتى اختير لها الشيخ حسين برناز الآتي ذكره.

هذا واعلم أن هذا الفقير قد كانت ولادته في السادس عشر من ذي القعدة من عام 1162 اثنين وستين ومائة وألف. وأخذت العلم عن جماعة من الأعلام.

أما التجويد فمن الشيخ محمد قرباطاق والشيخ ابراهيم الحميري والشيخ ابراهيم الوافي.

وأما الحديث فرواية لبعض البخاري عند قراءتي عليه وهو يسمع إجازة منه بباقيه وبغيره إجازة عامة فنوناً وكتباً.

وأما الفقه فقرأت عليه شرح الجوهرة على القدوري وصدر الشريعة. وأخذت بقية العلوم كالنحو والبيان والأصول والمنطق والكلام على أئمة أعلام كشيخنا الطود الشامخ إمام المعقولات أبي عبدالله محمد الشحمي[1]، وعلم المحققين أبي محمد صالح الكواش والعلامتين أبي

(1) توفي سنة 1190 / 1776 (شجرة النور: 349).

العباس أحمد الشريف الشهير البرانسي[1] وأبي عبدالله محمد الدرناوي، والفقيه أبي الحسن علي بن سلامة وإمام النحو في عصره أبي العباس أحمد السويسي المقرىء.

وصدرت مني والمنّة لله وحده عدّة تآليف منها: الشرح الذي كتبته على شرح الشيخ قاسم على مختصر المنار في الأصول، وآخر على رسالة الشيخ لطف الله الأزروصي في مسألة الترتيب بين الفوائت، وآخر على عبارة الدرر في الطهر من كتاب الحيض، وعدة رسائل في تحرير كثير من المسائل كرسالة السفينة التي مرّ تقريض الوالد لها ورسالة نيل المنى في استحقاق المشتري بعد البناء ورسالة في صحة الرجوع عند الوصية وإن اشترط الموصي عدم الرجوع فيها وقال مهما رجعت عنها كان ذلك تجديداً أو تأسيساً، ورسالة القول في حكم الميت في الوقف من غير ولد، ورسالة تحقيق المقال في حكم المغارسة والاستنزال، ورسالة تحقيق المناط في عدم إعادة الساباط، ورسالة حسن الحظ على توهم جواز الاحتجاج عندنا بالخط، ورسالة فيما يلحق من الطلاق المردف وما لا يلحق، ورسالة فيما يرجع فيه الدافع عن غيره عليه وما لا يرجع، ورسالة الوفاء بأحكام بيع الوفاء، والمنظومة الهلالية الموسومة بقلادة اللآل في حكم رؤية الهلال وتحتوي على أربعمائة بيت وتسعة أبيات، إلى غير ذلك مما لم أستحضره الآن.

وقد تقلّدتُ من الوظائف العلمية أولاً: مشيخة المدرسة الباشية بنزول والدي لي عليها، ثم خطبت نيابة عن والدي بجامع يوسف داي، ثم رفعنا أيدينا عنها فوليها إمام الخمس به الفقيه خليل.

ثم قلّدت القضاء بلا إكراه ولا رضى بعد عزل شيخنا قرباطاق يوم

(1) ترجمته في: الإتحاف: 7/159.

السبت لست بقين من شهر ربيع الأول من عام اثنين وتسعين ومائة وألف[1] وذلك من قبل الأمير الكبير أبي الحسن علي باي ـ رحمه الله تعالى ـ ثم استقلته منه بالكتاب المفتتح بـ : «أما بعد، حمداً لله مقيل المستقبل من العثار» فأقالني يوم الأحد الرابع من رجب الأصبّ من عام ثلاث وتسعين[2] ووليه الشيخ حسين الترجمان ثم عزل منه، وأكد عليّ على ذلك الأمير في العود إليه فعدت يوم الاثنين لأربع بقين من ثاني الربيعين من عام أربعة وتسعين[3]. ومن غريب الاتفاق أن هذه الأمور الثلاثة أعني الولاية أولاً ورفع اليد ثانياً والعود ثالثاً في ثلاثة أيام متوالية لأن الولاية الأولى كانت يوم السبت والرفع كان يوم الأحد والعود كان يوم الاثنين. فطلبت الإقالة منه ثانياً في أيام المرحوم حمودة باشا فأبى أن يجيبني لذلك إباءًا شديداً فصبرت حتى وقع الخلاص منه بولاية الفتيا على ما تقدم وأنا أنتظر خاتمة الخير. ثم وليت نقابة الأشراف بعد موت الشيخ عبد الكبير الشريف سنة ست ومائتين وألف[4]. وأقمت أفتي مع الشيخ محمد البارودي حتى توفي إلى رحمة الله تعالى ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر أشرف الربيعين من عام ست عشر[5].

وقد كتب على ضريحه من إنشاد الشيخ أبي حفص عمر المحجوب: (الطويل)

سقى ذا الثرى من رحمة الله وبْلها	ويمّمه من دوحة العفو ظلها
وضاعف أجر الصابرين لفقْد من	حواه على رغم الأرائك رَملها
كفى واعظاً بالموت إذ نال مثله	وإن وعظت تلك المقابر كلّها

(1) الموافق لسنة: 1778 م.
(2) الموافق لسنة: 1779 م.
(3) الموافق لسنة: 1780 م.
(4) الموافق لسنة: 1791 م.
(5) الموافق لسنة: 1801 م.

ولكن يحل الروع إن حلّ حادث   وتستعظم الأحداث فمن يحلّها
أجل حله البارودي بدر رئاسة   تسامى بأفلاك الفضائل فضلها
محمد مفتي المسلمين إمامهم   ويصقع أطواد المنابر فحلها
لقد كان في المفتين صدر شريعة   لهم منه توضيح القضايا وفصلها
وكان كمالاً فيهم ابن هماهم   حسين ومن تحريره صحّ نقلها
سلام على تلك النباهة إنها   فريدة عقد عزّ في السمط شكلها
سلام على تلك البراعة إنها   لعمرك في ثغر الكمالات رتلها
سلام على تلك القراءة كلما   تجرد من حال المحاريب ثكلها
سلام على تلك الجزالة إنها   لبيضة عقر ليس يخلف مثلها
توضحت البشرى بما أثقلت الورى   عليه وبانت للسعادة سبلها
وقال بشير الحال فيه مؤرخاً   أعدّت له دار السلام ونزلها

ومن إنشاء أخيه الشيخ المفتي الآتي ذكره[1] : (الطويل)

قفا بضريح ضمّ نور محمد   شقيق لبدر لا أقول لفرقد
جليل مهاب في القلوب معظم   إذا ما بدا فرداً على كل مفرد
فقِفْ خاشعاً واعلم بأن مصيرنا   إلى مثل هذا المصرع المتوحد
وعظ واتعظ وانهض إلى الفوز بالتقى   كما كان ذا بالبرّ والمجد يرتد
هو الفاضل العلَم العلامة الذي   علمت به علماً كنت أهتدي
محمد البارود يا طيب محتد   له ابن حسين سيد وابن سيد
رئيس لأهل الشرع من بعد والده   فكان بحمد الله أكرم مقتد
تصدّر للإفتاء قدماً بدت له   عوارضه إذ كان أرشد مرشد
لما كان فيه من صلاح وعفة   وذهن منير ثاقب متوقّد
فكان بفضل الله فيه مصابراً   على الحق يرويه برأي مسدّد

(1) سقطت هذه المرثية من: ح - و - ب -.

وقد كان في حسن التلاوة آية نحدى بها فضلاً على كل محتد

بكته المعالي والمنابر مُذْ بدا لهـا نعيـه وافُـرْقتـاه لمنشـد

كذا محاريب المساجد هدمت ولن ترى فيها بعده من مجدد

فطبـت أخـي حيـاً وميتـاً ومبعثـاً وجزيت بالقرآن قرباً لأحمد

لذاك شقيقي قلت فيك مؤرخاً قبلـت بقـرآن جـوار محمـد

ورثيته بقولي: (البسيط)

نعيٌ به نالت الأسماع من ألم ما أصبحت تتمنى وصمة الصمم

نعي الهمام أبي عبد الإله وما يقال في نعي ذاك المفرد العلم

يكفيه ما أشعر التلقيب من شرف لأنـه لبـرور والـوداد نمـي

يـا مـن نعـاه لنـا إن كنـت نـاعيـه فلتنعـه للعلـى والمجـد والهمـم

ويـا محـاول نظـم في الـرثـاء لـه لعـلّ نظمـك فيـه غيـر منتظـم

فـاستمـل محـرابـه عنـه ومنبـره فليـس مثلهمـا فـي ذا بمتّهـم

كلاهما قال في التأبين وا أسفاً علـى التـلاوة مهمـا ردّدت بفـم

ولهف نفسي على تلك الفصاحة إذ بانت فما ينعش الأرواح من نغم

يكـاد جلمـود صخـر إن يـرقّ لـه فكيف تأثيرها في الحاذق الفهم

يا واعظاً بسكوت منه صمتك قد أربىٰ على وعظكم من قبل بالكلم

أين اللسان الذي قد كنت تبرزه عضباً إذا سلّ يفري الصلب من أدم

وأين ذاك الذكاء المجل كمثل ذكا جهالة مثل ما تجلو من الظلم

من كنزه صاغت الفتيا قلادتها فريدة فوق قدر الدرّ في القيم

وقنيـة حفظتهـا فـي خـزانتهـا نعـم الـذخيـرة في أكمـام منبهـم

يـا راحـلاً ولسـان الـدهـر ينـدبـه ندب المصاب يفقد الفرد في العقم

خلّفـت مـن بعـدك العليـاء داميـة جفـونهـا تتشكـى لـوعـة اليتـم

لئن كتمت بترب عن نواظرها ففـي التـرائـب عنّـا غيـر مكتتـم

فلا عدت رمسك المسكيّ نفحته   هطالة من غمام الجود والكرم

وأشرت إلى من ولي بعده من ابنه وأخيه بقولي:

* * *

ومصطفى بن البارودي محمد   وأحمد بن البارودي المحرز الفخرا

أما الأول، فكان فصيحاً جيد القريحة، أخذ عن والده وجمْع سواه منهم: الفقير، قرأ عليّ ربع الدرر إلا أن المرض عرض له في صغره فعاق هلاله عن الكمال.

توفي أبوه وهو مريض فولي جميع وظائفه بعد أن كان ولي في حياته خطبة الجامع الباشي عوضاً عن أخيه الذي سبق أني كنت هنيت والده بولايته إياها بتلك الأبيات. ولم يزل به مرضه حتى نقله غصن شباب إلى التراب فتوفي إلى عفو الله سبحانه ليلة الثلاثاء سابع عشر شعبان من عام تسعة عشر ومائتين وألف[1].

وأما الثاني، فهو الشيخ الأجل الدرّاكة الأكمل ذو الذهن الغوّاص، الذي يعجز عن غوصه كثير من الخواص، فارس المنبر والمحراب، الآتي فيهما من الفصاحة وحلاوة النغمة بالعجب العجاب، وزاد على أبيه وأخيه بنظم الشعر. شارك أخاه في شيوخه السابق ذكرهم، وانفرد عنه بالأخذ عن والدي، قرأ عليه قطعة كبيرة من الأشموني ومن الملتقى[2]. وأخذ عن

---

(1) الموافق لسنة 1804 م.

(2) ملتقى الأبحر: وهو في فروع الحنفية للإمام ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة 956 / 1549. (كشف الظنون: 2/1814 ـ 1816).

شيخنا العلامة إمام المعقولات أبي عبدالله محمد الشحمي التهذيب في المنطق بشرح الخبيصي[1].

وقد كان خطب بباردو نيابة عن والده، ثم أخذ بعده الجامع الجديد بجميع علائقه ثم تدريس الدرس الحنفي الذي بمدرسة الأمير المقدّس أبي الحسن علي باي[2] بعد موت الشيخ حمودة بن محمود المرتّب فيه أولاً، ثم تدريس المدرسة العنقية[3] بعد موت الفقيه أبي العباس أحمد الطراز، ثم الفتوى وخطبة باردو ودرس التجويد ودرس الجامع الباشي بعد موت ابن أخيه أبي النخبة مصطفى. وسبب تأخر الشيخ أحمد في ولاية الفتوى عن ابن أخيه أن الأمير المرحوم حمودة باشا أَمَّ أولاً صرف وظيف الإفتاء إليه والزيادة ابن أخيه ثالثاً رعاية لأبيه فأبى الشيخ أحمد عليه، ولقد قال لي ذلك الأمير حين اجتماعنا بمجلسه: «تكلّم مع فلان فإني خاطبته في الولاية فأبى» فعالجته في ذلك، فما زادتْه معالجتي إلا إباءًا فاقتصر إذ ذاك على ولاية حفيده، حتى إذا توفي ولم يمكنه الامتناع بعد إعادة الطلب عليه أجاب.

ولما ألّفت الرسالة الموضوعة في عدم اِنفساخ الإجارة بموت المؤجر إذ كان متولياً موقوفاً عليه مع انحصار الاستحقاق فيه قرضها بقصيدة غرّاء مطلعها: (الخفيف)

أقبل الفجر صادقاً مستنيراً ... ودجى الليل عنه ولّى حسيراً

---

(1) هو شرح كتاب تهذيب المنطق لعبيد الله بن فضل الله الخبيصي. (كشف الظنون: 516/1).

(2) لعلها المدرسة الجديدة، وهي من مآثر علي باي، وهي من أفخم وأفسح مدارس العصر الحسيني. وكان بناؤها بين سنة 1172 / 1758 وسنة 1190 / 1776. (تاريخ معالم التوحيد: 323).

(3) أسستها الأمير فاطمة ابنة الأمير أبي زكرياء الحفصي سنة 733 / 1332. وفي عهد الدولة الحسينية كانت مشيختها بأيدي الحنفية (تاريخ معالم التوحيد: 293).

فأجبته عنها بقولي: (الخفيف)

جلبت إذ بدت إلى العين نوراً ... وإلى القلب بهجة وسروراً
بنْت فكر تسبي العقول بلحظ ... فاتر في الفؤاد يلفي قريرا
شنفت مسمعي بصوت رخيم ... زاد عقلي سماعه تحييرا
وأتت من بديعها بمعان ... وبيان أنست بذاك جريرا
ذلك البارودي أحمد من قد ... أدرك السبق للمعالي صغيرا
طرفاه إن أرسل الطرف ولّى ... عنهما خاسئاً وعاد حسيراً
فأبوه وعمّه وأخوه ... وكذا خاله حَوَوْا تصديرا
فقهاء أجلّة وهو أيضاً ... مثلهم هل ترى لذاك نظيرا
ولقد رمت أن أُجيب وهيها ... ت وقد أصبح اللسان قصيرا
فتوالي السقام أخْمَد فكري ... وأعاد الصحيح مني كسيرا
والذي هكذا بعيد عن النظ ... م وإن كان بالقريض بصيرا
فاقبلن عذره وعد قصورا ... منه فيما أتاك لا تقصيرا
وجزاكم ربّ البريّة عنّا ... فوق ما ترتجون منه كثيرا
بنبيّ الهدى عليه صلاة الـ ... ـله ما عانق الغمام ثبيرا
وعلى الآل كلما قال صبّ ... جلبت إذ جرّت للعيون نورا

وقد توفي الشيخ أحمد هذا إلى عفو الله تعالى ليلة الجمعة الثانية والعشرين من شوال من عام تسعة وعشرين ومائتين وألف[1] ودفن بجبانة الشيخ بالمرسى جوار الشيخ سيدي عبدالعزيز المهدوي بوصية منه.

وكتب على ضريحه من إنشاء العلامة المحقق أبي اسحاق ابراهيم الرياحي[2]: (الكامل)

---

(1) الموافق لسنة: 1813 م.

(2) شيخ الجماعة: الأديب والعالم المحقّق. ولد سنة 1180 / 1767 وتوفي سنة 1266 /=

عش ما تشاء لذاذة وحبورا إن القصور ستستحيل قبورا
يا غافلاً لم ينتبه لمذكّر أفما كفى داعي المنون نذيرا
كم من رفيع في أسِرَّة عِزِّه خفضوه في ذلّ التراب أسيرا
وبموت أهل العلم أبلغ واعظ يهدي إلى كون الحياة مرورا
وهنا اعتبر بضريح أحمد كَمْ طوى بمغيبه في طيّه منشورا
غربت لبارودهنّ محاسن يا طال ما أشرقن فيه بدورا
قد كان في وجه المحافل غرّة وعلى المنابر قسّها المشهورا
ولطالما قرعت زواجر وعظه صمّاً وماذا قد شرحن صدورا
أما إذا يتلو الكتاب فإنّه يهدي لأموات القلوب نشورا
عظم المصاب به وأحرى مذهب النعمان إذ لهداه كان نصيرا
ركدت رياح زئيره فكأنه ما كان ليثاً في الرجال هصورا
إن يمضي فهو سبيلنا ومن الذي كتبت له يمنى الخلود ظهيرا
لبّى المنادي واستجاب لربّه يرجو رضاه وفضله الموفورا
يا ربّ حقّق فيه قول مؤرخ ألقاه وجهك نضرة وسرورا

* * *

وزِيد حسين ابن لبرناز ثالثاً حساب حوَوْا في الرسم يجمعهم طرّا

هذا هو المتمّم واحداً وعشرين من المفتين الذي هو حساب الحروف المرسومة في «حووا» التي من جملتها ألف الفرق إذ حسابها في النطق عشرون لسقوط تلك الألف فيه.

= 1850. (إتحاف أهل الزمان: 7/73 ـ 82 ـ شجرة النور: 386 ـ 389 ـ عنوان الأريب: 2/90 ـ 97 ـ فهرس الفهارس: 1/328 ـ 329 ـ معجم المؤلفين: 1/49).

وهو الشيخ الفقيه أبو عبدالله حسين بن مصطفى برناز. كانت له ملكة حسنة في الفقه والنحو وهي في الفقه أحسن. وكان رجلاً خيّراً حسن الظن في الناس، مقبلاً على شأنه، معرِضاً عما لا يعنيه، طارحاً للتكلّف، قائماً بحقوق الإخوان. تصاحبنا نحو خمسين سنة فما تغيرت من جانبه من شيء جزاه الله تعالى خيراً.

ولد سنة أربعين ومائة وألف[1]. وقرأ على غالب الشيوخ الذين أخذت عنهم، وانفرد عني بثلاثة: الشيخ أبي الظفر مراد موسكه قاضي الحنفية كان، قرأ عليه الدرر بتمامه، والشيخين أبي محمد حمودة بكير الإمام وحمودة البرادعي، قرأ على كل منهما صدر الشريعة.

وأقرأ في النحو صغار كتبه وفي الفقه الجوهرة على القدوري وصدر الشريعة، وكان شرع في وضع مزج عليه ولم يتممه.

ولي أولاً الفتيا بالمنستير مع إمامة جامعها الحنفي وخطبته.

وكانت عادته أن يأتي لتونس كل عام للزيارة مرة فتخلّف عن ذلك في بعض السنين، فكتبت إليه مستفهماً عن سبب التخلّف طالباً أن يجري على عادته فلم يأتني منه جواب، فكتبت له عاتباً ومداعباً بقولي: (الطويل)

علـى أيّ شـيء لا يُـردّ جـوابـي	ويُنبـذ ظِهْـريـا لـديـك كتـابـي
أهذا صنيع الناس أم هو مذهب	تخيّـرتـه مـا أنـت عنـه بـآبـي
ويحســن ذا منكـم وودّي فيكـم	على كل نوع في المودة رابي
فلو أنني خيّرت ما اخترت دون أن	أرافقكـم مـا عشـت ردّ شبـابـي
ولـو كلّـف الإنسـان مـا لا يطيقـه	لسرت إلى مأواك سير سحاب
وتعلـم أنـي مـذ بليـت بغـربـة	لفـرقـة أولادي وفقْـد أصحـابـي
أحنّ إلى من لي به علقة مضت	ولـو ضعفـت جـداً لشـدة مـابـي

---

(1) الموافق لسنة: 1727 م.

فما ضرّكم من أن تكونوا كتبتم ... جواب كتابي في وجيز خطابي
فما خدمة الزيتون هذا أوانها ... ولا صـابـة حتـى نعـدّك صـابـي
ولكن أظنّ الناس قد شاع بينهم ... كثيـر نـزاع ينتهـي لسبـاب
مشاغل أبداها الفراغ لما بهم ... من الجذب إذا عضّ الزمان بناب
وفـي ذاك سـوق للتكسـب نـافـع ... لـديكـم وبـاب فيـه أعظـم بـاب
فتفتيهـم حينـاً وتشهـد تـارة ... وقد جاءت الدنيا بغير حساب
كأني أراهم حين جدّوا لبابكم ... بأشكال إنس في احتيال ذئاب
وبعضهـم يسعـى بمخـلاتـه لكـم ... وآخـر يعـدو نحـوكـم بجـراب
وأصواتهم مرفوعة وهي عندكم ... عذاب وإن كانت إليهم عذاب
ولكن صوت النقد سوغها لكم ... ولو غلبت في القبح قبح كلاب
إذا ما اشمأزّت نفسكم لمسّ مالهم ... وقـالـت فلـوس أم رجيـع ذبـاب
تذكرت أحكام الطهارة جالباً ... علـى مـا ذكـرتـم مـن كـل كتـاب
فإن كان هذا عذركم فاكتبوا لنا ... ونعطي على المكتوب قدر مناب
ولكـن إذا بـالغـت نـرفـع أمـرنـا ... لقـاضٍ مضـاف عنـدكـم لتـراب
وهـذا مـزاح قـد مـزجنـا حـلاوة ... لطعمـه الأشهـى بمـرّ عتـاب
ومقصدنا من بعد ذا أن تزورنا ... لنعلـم أن قـد أبْـت خيـر مـآب
ونرجع عن قولي لكم إن ودكم ... يعـدّ شـرابـاً وهـو لمـح سـراب
ويا عاذلي هوّن عليّ ولا تقل ... أيطلـب ذا مـن بـاخـل بخطـاب
فـإن الهـوى يـدعـو لهـذا ومثلـه ... ومـا هـو فـي أحـوالـه بعجـاب

ثم إنه طلب رفع يده عن وظائف المنستير والعود لبلاده فأُجيب. وانتصب هنا للشهادة. ثم ولي خطبة جامع القصر[1] بعد موت أبي عبدالله محمد برتقيز ثم إمامة الجامع اليوسفي وروايته ورواية الجامع الباشي بعد

(1) تاريخ معالم التوحيد: 165 وما بعدها.

موت الفقيه أبي عبدالله الملاّ، ثم القضاء لما نقلت منه إلى الفتوى. ثم عزل عنه لتغفله. ولما كان عزله لا لريبة مع كونه قد طعن في السن جبره الأمير حمودة باشا ـ جبره الله تعالى ـ بين يديه بزيادته مفتياً ثالثاً فبقي كذلك إلى أن توفي إلى عفو الله تعالى في ذي القعدة الحرام من عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف[1] فيكون قد بلغ من العمر ثمانياً وثمانين، ولم يبلغ هذا السن من مات من جميع المذكورين.

وكتب على ضريحه من إنشاء الشيخ العالم العلامة سيدي ابراهيم الرياحي ما نصّه: (الكامل)

كل الورى هدف لسهْم حِمام	حُكْم جرى حتى على الحكام
كيف الدوام وكل شيء هالك	لنزيل دار غير ذات دوام
فاعمل لنفسك صالحاً تلقاه إذ	يصحو الورى من سُكرِهم بمنام
وانفضْ يداً من هذه الدار التي	سحرت بأحلام ذوي الأحلام
وهي التي وعظت وحسبك واعظاً	موت العلوم ونقلة الأعلام
انظر إلى هذا الضريح وما حوى	من عالم علم وبحر طامي
بحر من التحقيق قلّد درّه	بحر الطروس أنامل الأقلام
هذا الإمام حسين العلم الذي	نظم التقى والعلم أي نظام
يا مجمع البحرين يا برناز من	أبقيت نوراً في دجى الإظلام
قد كنت مصباح الهدى وصباحه	وجمال وجه محافل الأيام
إن غبت عن نظر العيون فلم تزل	بين الجوانح في أعز مقام
يهنئك ما خلفت من شكر وما	قدمته ذخراً لنيل مرام
لا غرو أن يحوي المنى فضلاً وفي	تاريخه حصل الهنا بختام

* * *

(1) الموافق لسنة: 1813 م.

وضمّ لهم بلخوجة وهو أحمد مع ابن الذي أبدى تراجمهم زمرا

هذا البيت زدته حين ولي صاحباه الفتيا في يوم واحد من قعدة عام تسعة وعشرين ومائتين وألف[1] ولم أشرحه لأن الشرح قد تمّ قبل ذلك إذ تمامه في ربيع الأول من ذلك العام.

* * *

ومن تمام الأبيات المزيد عليها بيتان هما:

سقى لحْدَ من بانوا وقد ضاجعوا الثرى غمام الرضىٰ حتى يرى روضة خضرا

وعامل من لم يأته أجل له بلطف به من هذه الدار والأخرىٰ

وقد كنت كتبت في الشرح متصلاً بهذين البيتين قولي: «اللهم إنّا نسألك في إجابة هذا الدعاء بأفضل من طاف وسعىٰ محمد نبيّ الرحمة الذي أتممت به النعمة وكشفت به الغمّة عن الأمة وآله الكرام وصحابته الأعلام، عليه وعليهم أكمل الصلاة والسلام».

هذا، واعلم أن نسختي من هذا الشرح قد كانت ضاعت مني فأخذت من بعض الناس نسخة كانت نسخت منها قبل ضياعها لأنسخ منها فظهر لي أثناء النسخ أن أزيد في بعض المواضع وأنقص، فكتبت في هذه النسخة ما استقرّ عليه رأيي. فلْيكن الاعتماد عليها ويغيّر غيرها من النسخ إليها.

(1) الموافق لسنة: 1814 م.

قائمة المصادر والمراجع

- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: لأحمد بن أبي الضياف، تونس 1965.

- الأعلام: لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة الثامنة، بيروت 1989.

- إكتفاء القنوع بما هو مطبوع: لإيدوارد فنديك، دار صادر، بيروت.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: لاسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت 1982.

- بيبليوغرافيا تحليلية حول محمد بيرم الخامس: إعداد المنصف بن عبد الجليل وكمال عمران، بيت الحكمة، تونس 1989.

- تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد: لمحمد بن الخوجة، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985.

- تراجم المؤلفين التونسيين: لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982.

- التعريف بنسب الأسرة البيرمية: لمحمد بيرم الثاني، مخطوط دار الكتب الوطنية، رقم 509.

- الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي: لمحمد البهلي النيّال، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس 1965.

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية: لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (القسم الثاني)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 ـ 1985.

- ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان: لحسين خوجة، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1975.

- الرحلة العياشية: لأبي سالم العياشي، طبعة حجرية، فاس 1898.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الشهب المخرقة لمن ادّعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة: لأحمد برناز، تحقيق الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

- صفحات من تاريخ تونس: لمحمد بن الخوجة، تحقيق حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1986.

- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار: لمحمد بيرم الخامس، طبعة دار صادر، بيروت عن طبعة المطبعة الإعلامية بمصر 1303 هـ ـ 1885 م.

- عنوان الأريب عمّا نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: لمحمد النيفر، تونس 1351 هـ / 1933 م.

- فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم: لعبد الحي الكتابي، المطبعة الجديدة، 1927 ـ 1928.

- فهرس مخطوطات خزانة حسن حسني عبد الوهاب: إعداد عبد الحفيظ منصور، نشر المعهد القومي للآثار، تونس 1975.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية: إعداد قسم المخطوطات بدار الكتب الوطنية، تونس.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت 1982.
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس: لابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.
- مجلة الندوة: الأعداد، 5،6،7،8. (جويلية. . . أكتوبر 1945).
- مسامرات الظريف بحسن التعريف: لمحمد السنوسي، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار بوسلامة، تونس 1983.
- معجم المؤلفين: (تراجم مصنفي الكتب العربية)، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنىٰ ودار إحياء التراث العربي بيروت (د. ت).
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف إلياس سركيس، دار صادر، بيروت.
- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار: لمحمود مقديش، تحقيق محمد محفوظ وعلي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لاسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت 1982.



الفهارس العامة

1ـ فهرس التراجم

2- فهرس الأعلام

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

— ق —

— ك —

— م —

— ن —

— هـ —

— و —

— ي —

3ـ فهرس الكتب

4ـ فهرس البلدان والأماكن

ـ و ـ

5- فهرس الجماعات والأمم والطوائف

6ـ فهرس المحتويات

I ـ مقدمة التحقيق :

II ـ التحقيق : شرح بيرم الثاني على نظمه في المفتين الحنفية بتونس :



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulair: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 1999/5/1000/349

التنضيد : كومبيوتايب - بيروت

الطباعة : دار صادر ، ص . ب . 10 - بيروت

Muḥammad Bayram II

(m. 1247/1831)

aš-Šarḥ ʿalā an-Naẓm fil-Muftīn al-Ḥanafiyya bi Tūnis

(Biographies des Muftis Hanéfites en Tunisie)

Texte établi et annoté
avec introduction par

Mohamed Zahi



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI